

وديـع فلسطـين

حديث مستطرد عن فلسطين

بقلم وديـع فلسطـين

* * *

اراني مضطرا كلما تحدثت عن فلسطين ان اذكر النـاس بأنني لست من فلسطين ، وان الملابسات الجغرافـية لاسمي الكامل « وديع فلسطين حبشي » لا تنسبني الى فلسطين ولا الى الحبشـة ، ولا تخرجني عن واقـع صعيديتي ومصريتي ، مع عروبة الانتماء والايمان .

وكم اثقل كاهلي هـذا الاسم المحير ، الذي اوقفني عشرات من المرات امـام اهل الاستنطـاق والتحري حتى صرت ـ على الرغم مني ـ اتبرأ من فلسطين في كل مناسبة وبلا مناسبة ، على الرغم من الحفاوة الشخصية التي كنت القاها من اقطاب فلسطين كالمغفور له سماحة الحاجامين الحسيني ، والمرحوم احمد حلمي باشا والمجـاهد العربي الاكبر محمد علي الطاهر (رطب الله مثواهم جميعا) واحمد الشقيري وعادل زعيتر واكرم زعيتر وقدري حافظ طوقان وخليل السكاكيني والدكتور اسحق موسى الحسيني ومن اليهم ، وهـي حفاوة سببهـا الاول حملي اسـم فلسطين بمحض مصادفة .

اسوق هذا التمهيد ، لاستطرد منه الى حديث عـن طائفـة مـن الكتب اخرجتها المطابع اخيرا عـن فلسطين تستحق لتميزها العظيم وقفة تعريف وانصاف .

واول هذه الكتب صدر في لندن باللغة الانكليزية عـن «دار لونغمان» وعنوانه « فلسطين والقانون الدولي» وهو من تأليف المشترع الحقوقي الكبير هنري كتن وله مقدمة بقلم الدكتور و .ت .ماليسن من اساتذة جامعة جورج واشنطن الامريكية .

وهذا هو الكتاب الثالث الذي يصدره استاذنا هنري كتن عن قضيـة فلسطين باللغـة الانليزية في غضون ثلاث سنين ، وذلك للدفاع عن قضيـة بلاده امـام الراي العام الغربي لا بلغـة الحماسـة و«البعبعات» بل بلغـة الوثائق والقانون والمنطق والارقام ، وهي لغة الاقناع الوحيدة التي تحترمها مجامع الغرب وتفعل فعلها في كسب تأييدها .

والكتاب في مجمله كتاب تطبيقات لمباديء القانـون الدولي المتعارف عليها على قضية فلسطين منذ مـا كانت مجرد حلم ينسب الى الدين ، الى ان عززت بوعد بلفوري مبذول ، وما تلا ذلك من انتداب بريطاني وقرارات للتقسيم ثم ما تطورت اليه من قيام دولة الصهاينة وما جاء في اعقاب ذلك من قرارات متراصة للامم المتحدة .

وقد انتهى هنري كتن من هذه التطبيقات العمليـة الى ان الحلم التاريخي امر لا يعترف به قانون الامم ، وان الوعد البريطاني لبلفور وعد «باطل متى سلطت عليه اضواء القانون الدولي وان الانتداب بكل مقوماته كان صارخا في تحرشـه بالمباديء القانونيـة الدولية ، وان السيادة على فلسطين هي لاهل فلسطين الاصائل فلا هم تنازلوا عنها ، ولا حق لسواهم مـن خوارج المنتدبين في ان ينقلوهـا الى سواهم ، وان قيام اسرائيل ظلم فاحش لكل ما تواضعت عليه الامم في نواميسها المسنونة ، وان قرار التقسيم مـن فواحش القرارات التي اتخذتها الامم المتحدة لفساد قوائمه القانونية ، وان القرارات التي تتالت من الامم المتحدة فتقرت الى السند القويـم لقضيـة شعب ، وان السبيل الوحيد لاقامـة صروح العدالـة والحق في فلسطين هـو بتحكيم قوانين الامم وتطبيقها تطبيقا قانونيـا بمعرفـة المنظمـة الدوليـة . فـلا حل للقضيـة الا بالرجوع الى جذور تلك القضيـة وابطال كل مـا شاب الاجراءات التي اتخذهـا المتصرفون بأمرها من مخالفات يضج منها القانون الدولي أشد ضجيج ويفزع أعمق فزع .

وحماسة هنري كتن هي حماسة للقانون وللمباديء، وما دامت قضيـة بلاده تنحاز اليها تلك المباديء والسنن الدولية ، فهو مطمئن الى بلوغ غاية القدرة على الاقناع ان وقع كلامه على ضمائر حية وأصاب اذانا مصغية .

ولهنري كتن منزلـة كبيرة في نفسي منذ مـا تابعت مواقفه في الامم المتحدة عام ١٩٤٨ ومنذ ما سعدت بمودته في عام ١٩٥٥ فلقيت في شخصه وعلمه وتجاربه رجلا مـن أعظم الرجال . وقد كان من اكبر اسباب سعادتي وامتاعي قيامي ـ بناء على رغبتـه ـ بترجمـة واحد مـن كتبـه الفلسطينية وانا في عزلتي المهجرية الكئيبة ، وكانت ذراعي

اليمني مودعة في غلاف من المصيص لانكسارها ، فنسيت مرارة الوحدة والام البدن وعشت معه في عالم ذكي ، لان جميع مصنفات هنري كتن كتب اذكياء .

والغريب ان كتب هنري كتن قد اهتمت بها صحافة الغرب ، فأذيعت عنها المحاضرات ، وكتبت في دراستها البحوث المترسلات، وعلقت عليها حتى صحف الصين ، وتناولتها امهات مجلات الادب والتربية . فان بحثت عن صدى هذا في صحفنا العربية ، خرجت منها بما يشبه خفي حنين ، لان صحفنا في كثرتها الكاثرة قد اهملت الكتب ، والغت ابواب « المكتبة » وانشأت بدلا منها ابواب التلفزيون وراقصات الشارلستون ! .

والكتاب الثاني هو بدوره من بواذخ الكتب ، وقد عالج فيه صديقنا العالم الاديب الكبير محمد اديب العامري موضوع «عروبة فلسطين في التاريخ» .

ودعك من المناصب التي شغلها العامري ، فهي لم تزدنا به تعريفا ولا لفضله تمجيدا ، بل لعلها سولت لمثلي ان يتهرب من لقائه . فقد كنت وما زلت اسرع الناس هربا من ارباب المناصب ، لا يكاد واحد من اصدقائي يعتلي الدست ، حتى يكون هذا اخر العهد بيننا .

فالعامري نعرفه مربيا سلخ عمره في تهذيب العقول ، ونعرفه مترجما ومؤلفا واديبا ومؤرخا محيطا ،ونعرف فوق هذا انه بواسع فضله يشمل بعنايته مشروعين ادبيين جليلين ، هما نشر دائرة المعارف الفلسطينية التي صال في جمع مادتها وجال صديقنا المبكي على غر شمائله يعقوب العودات « البدوي الملثم » فسجل للاجيال سيرا يهددها الطمس والزوال . اما المشروع الاخر فهو مناصرة « الاديب »لتواصل اداء رسالتها في خضم المثبطات الكثيبات فتبقى في الميدان ملتقى ادبيا عظيما في جميع ديار الاعارب وفي مواطن الهجرة ومراكز الاستشراق .

والكتاب الذي صنفه اديب العامري عن عروبة فلسطين هو كتاب تاريخ في المقام الاول ، وجل مراجعه من مؤلفات العلماء الغربيين ، وعلماء الحفريات . وقد برهن بعد طول تطواف على ان فلسطين عامة والقدس خاصة، كانت عربية النجار منذ سحيقات الاعصر المدونة،وان جميع المؤرخين العدول قد قرروا ان الشعوب التي عاشت في الشرق الادنى وانشات الحضارات الاولى في تاريخ الانسان كانت عربية الاعراق والمنابت ، اذ نزحت من جزيرة العرب واستقرت فيها .

وليس من مطامحنا في هذا الحديث المستطرد ان نوجز فصول الكتاب ، فالكتاب كله شديد التركيز ، وبياناته التاريخية عسير ضغطها في حيز مقال ، ولكن من تمام الحق ان نقول ان العامري وزميله العراقي العلامة الكبير الدكتور احمد سوسة صاحب كتاب «العرب واليهود في التاريخ» قد جاسا خلال الاحقاب التاريخية ، وقلبا جميع الاثار الحجرية او الالواح ذات النقوش ، واستوعبا كتابات المؤرخين الغربيين قبل الاعارب ، ودرسا التوراة دراسة توافر وعمق ، وكانت حصيلة هذا الجهد العلمي الفريد الاطاحة بالدعاوي التاريخية ، بل الدينية ،التي تتوكأ عليها الصهيونية ، كما اطاح هنري كتن بدعاواهم القانونية والسياسية .

ومع هذا نقول ان هذه الكتب النفائس لم تغلق باب التاليف في موضوع فلسطين ، على ما اتصفت به من اتساع الجوانب واستقصاء الحقائق واستدرار الحجج من مصادر الحق في التاريخ والقانون .

اما الاسلوب الذي توخاه العامري في تسطير كتابه هذا ، فهو الاسلوب العلمي المباشر الذي يجافي «الدردشات الاستطرادية» ، وعساه يغفر لي استطراداتي التي اراها منجية من هموم التخطيط والتنهيج (نسبة الى منهج) التي يدعو اليها ويلح فيها اساتذتنا الاكاديميون ، حتى تجيء كتاباتهم «معمارا هندسيا» مترابطا .

والكتاب الثالث ينقلنا نقلة سحرية الابسطة الى عالم الادب، لانه كتاب لصديق العمر الاخ الحميم الدكتور كامل السوافيري ، وهو باسمي احق لانه في كل دراساته يدور في محور فلسطين بوصفه الخبير الموثق للادب الفلسطيني. فما احراه ان نسميه كامل الفلسطيني ، وليذهب عني لقب الصق بي بغير استحقاق .

ففي كتاب «الاتجاهات الفنية في الشعر الفلسطيني المعاصر» يتناول الدكتور السوافيري ديوان فلسطين ، ويستنبط منه نماذج تندرج تحت المذاهب الفنية المختلفة، ويصنف شعر الشعراء بين رومنسي منطلق ، وتقليدي متحفظ ، وتجديدي ينحو الى الرمز والصوفية ، وقومي يموج بمشاعر الكارثة المدلهمة ، واسطوري يستعين بالميتافيزيقا للتعبير عن جيشان النفس تلقاء الاحداث ، وواقعي يستنطق الاحداث ظاهرها لا باطنها ، ووصفي وغزلي ورثائي ، وما الى ذلك من ابواب الشعر .

ولهذا الكتاب الكبير فضائل يحصى بعضها ولا يحصر كلها . فمن فضائله الاولى انه ابرز للقراء شعراء من فلسطين هيهات هيهات من يعرف عنهم خبرا او يقرألهم ديوانا . فقد اندثرت اثارهم او كادت ، وغابت أسماؤهم او اشرفت على المغيب لولا العين اللماحة اليقظى للسوافيري الكامل ، التي جاءت منصفة لشعراء يدينون له قبل غيره بشيوع الذكر . ومن فضائله الاخرى انه ، فوق ما فيه من دراسات ادبية نقدية رشيدة النظرات ، قد بعث الى عالم النشور الحياة الادبية والفكرية في فلسطين منذ عام ١٨٥٠ والى يومنا الحاضر ، فحفل الكتاب بما صور للقاريء الاهتمامات الذهنية والفكرية لابناء فلسطين قبل النكبة وبعدها وفي اطوار القضية ومدارج الكفاح . ومن ثوالث فضائله انه نصب ميزانا قبانيا كبيرا ، اتسع لجميع

شعراء فلسطين ، فشالت في الموازين كفات، ورجحت كفات السوافيري القباني لا يجنح مع هوى .

وهكذا تمم السوافيري جهده السابق في تحديد «موقف الشعر العربي من محنة فلسطين» بجهده اللاحق في درس «الاتجاهات الفنية في الشعر الفلسطيني المعاصر» . وهو غير مكتف بهذا ، فتحت يديه كتاب كبير عن «الادب الفلسطيني المعاصر»وكتب عن «عبد الرحيم محمود» و«ابراهيم الدباغ» و«اسعاف النشاشيبي» ولن يهنأ له بال حتى يضع امام القارىء ثبتا كاملا بتواريخ ادباء فلسطين وشعرائها متبحرا في دراساته ، واقفا على كل علم من اعلامها كتابا براسه .

والسوافيري صاحب تاريخ وليس مجرد هاو مثلي، فان بحثت عن اصحاب الندوات الادبية ، فالسوافيري واحد منهم كانت تغشى ندواته ائمة الادب : محمد عبد الغني حسن ومحمد مصطفى الماحي واحمد عبد الغفور عطار ومحمد علي الحوماني ومحمد عبد المنعم خفاجي وجليلة رضا وابو سلمى عبد الكريم الكرمي ، وكل ادباء فلسطين وشعرائها طلوعا ونزولا . وان بحثت عن العاملين في ميدان القضية ، فهاك السوافيري تشير اليه الاباهم العشر ، هو كالملوك في منتديات بحثها . وان احصيت اسماء الدعاة القوميين ، فلن يفلت منك اسم السوافيري المؤمن ، الذي زلزلت حياته ولم يزلزل ايمانه بالعروبيات . وان ذكرت المجاهدين الابرار ، فالسوافيري تعرفه متاهات المنافي . وهو في الوفاء مضرب المثل : يستقبل ويودع ويعزي ويهنيء ويسعى بين الناس بمحض الخير . ولا اكاد اراه الا وفي صحبته زيد من الناس ، فاذا دعاني داعي الفضول الى الاستفسار منه عن هوية هذا الزيد ، قال انه طالب فلسطيني اسعى في الحاقه بالجامعة ، او انه اديب فلسطيني ابحث لديوانه عن ناشر ، او انه نزيل فلسطيني نفتش له عن نزل ، او انه حضرمي ينقب عن مخطوطة او يريد ان يستكمل مجموعته من مجلة « القبس » التي احتجبت منذ اكثر من نصف قرن . يحمل على كتفيه اعباء القضية واعباء الادب وهموم الوفاء ، ويدور على قدميه في دنيا الادب ملاقيا الجحود بصدر لا يضمر للناس حقدا .

ومن آيات وفائه انه اسمى ابنه البكر « علاء » لان احمد حسن الزيات الذي كان يدين له بالاعجاب والحب سمى ابنه « علاء » .

فيا ابا العلاء ، طوباك اديبا ، وطوباك مجاهدا ، وطوباك اخا للود والوفاء .

والكتاب الرابع الذي ينقلنا بالقضية الفلسطينية الى المسرح الحي ، هو المسرحية الشعرية الجديدة التي اصدرها الشاعر الكبير الاستاذ عدنان مردم بك بعنوان « فلسطين الثائرة » ليصور فيها بشاعريته الخصبة مواقف الكفاح التي وقفها الباسلون من ابناء القضية كعبد القادر الحسيني وابرهيم ابو دية والجاعوني والمزرعاوي والسيدة المجاهدة الباسلة زوجة عبد القادر الحسيني ومن اليهم .

والجديد في هذه المسرحية الشعرية انها متصلة الوشائج بقضية معاصرة وان شخوصها قريبو العهد بنا وبعضهم ما زال « يمثل » على مسرح الحياة تمثيلا واقعيا لا مسرحيا . وقد ردني عدنان مردم بك الى ذكرى ما زالت تؤلمني كلما مر بذهني طائف منها ، هي ذكرى زيارتي للبطل المجاهد ابرهيم ابو دية في المستشفى الايطالي عام ١٩٤٩ او نحوه . فقد كنت ارتاد ندوة « الشورى »لصاحبها الفقيد العظيم محمد علي الطاهر ـ سيد المجاهدين العرب ـ فقال لي : هل زرت ابا دية ؟ فسألته : وكيف السبيل الى ذلك ؟ فقال لي : انه يعالج من اصاباته القاتلة في المستشفى الايطالي بالعباسية (القاهرة) . فقلت له : ولكنني لا اعرفه شخصيا ، واخشى ان يمنعوني من زيارته على سبيل الحيطة . فقال : اذن يصحبك غدا واحد من اعوانه .

وفي الغداة زرت هذا البطل الجريح ، وكان مسجى في فراشه بعد ان كثرت في جسمه جراحات المباضع . وحاولت ان استدرجه الى الكلام ، ولكن آلامه كانت فوق طاقة البشر فألجمت لسانه . اما وجهه الصارخ الملامح فلم تبد عليه اي بادرة لتلك الآلام التي لم تلبث ان هصرت عوده بعد بضعة ايام . لقد كانت بطولته بطولة صامتة : ادى دوره في ميدان الوغى ، ونال اوسمة الجهاد في جسمه ، ثم ماذا ينتظر الناس منه بعد ذلك ؟ اينتظرون كلاما ؟ وما اسهل الكلام .

ولم املك الا ان احييه بكلمة نشرتها في الجريدة التي كنت اعمل بها ، وحرصت على ان ابعث بها اليه ،وان كان سيد الفضلاء محمد علي الطاهر سبقني بنفسه وشخصه الى تقديمها اليه ، وبعد ايام ذهب ابو دية في طريق ابرار الجهاد .

ذكرت هذا وانا اقرا المسرحية الممتعة التي رسمتها الريشة الصناع لعدنان مردم بك ، فقلت لنفسي ان الشاعر المردمي قد افلح في تصوير المواقف التي عجزت انا والبطل راقد امامي ان اصورها . فلله در الشاعر ، فهو يبلغ بالخيال ما لا نبلغه نحن بالواقع ، وهو يقول في بيت ما لا نحسن قوله في نهر طويل يندرج في صحيفة سيارة .

والمسرحية المردمية معرض حي للبطولات التي يتصدى لها الرجال والتي تتحملها المراة الابية الصامدة . كما انها تأخذ من التاريخ ما يناسب المواقف والمشاهد ، وتتجافى عن الدقائق التاريخية الصغيرة التي تفسد بهرجة العمل المسرحي .

ولعل ما يؤخذ على هذه المسرحية انها حافلة

بالمواقف الخطابية ، وان الحركة فيها قليلة بل منعدمة . وطبيعي ان الشاعر ليس في وسعه ان ينقل على المسرح من معارك الحرب الا اصوات المدافع والقنابل ، كما انه مضطر الى ان ينقل الاحداث من واقع تراه الاعين الى رواية ترويها الالسنة . فشخوص الرواية تجمل الاحداث على السنتها ولا تشرك الجمهور في رؤية تلك الاحداث مراى عين .

ولئن اخذ هذا القصور على الشاعر المردمي ، فقد استطاع ان يغني الشعر المقول بالحكم التي يستشهد بها في مجال الوطنية والبطولة ، وبالنصائح التي ينتفع بها اليوم وفي كل يوم . فنقص الحركة يلازمه في هذه المسرحية ثراء في الشعر الوطني وحشد من عبارات الحكمة المسوقة اجمل سوق .

وليت الشاعر الكبير عدنان مردم بك يضيف الى مسرحياته الشعرية ، سواء التي رمز بها الى فلسطين كمسرحية « مصرع غرناطة » او التي وقفها عليها كمسرحية « فلسطين الثائرة » ، مسرحية جديدة تخلد امثال وائل زعيتر الذي كانت حياته قصيرة ، لقد مد يده للناس بالمحبة والرفق والحكمة ، فجازوه بالبغض والعنف والطيش .

فلتفخر اللغة العربية (بنت عدنان) بابنها الشاعر عدنان بموهبته الاصيلة وهمته الكبيرة وجهده المثلث في خدمة الضاد : شعرا وفنا ووطنية .

والكتاب الخامس في الفلسطينيات هو ديوان « الطوفان » للشاعر علي هاشم رشيد الذي اخرجته الشجرة الباسقة لفلسطين ، فكان لها ابنا من ابر ابنائها واصدقهم في رفع صوتها وترتيل اناشيدها .

وقد عرفت ابا حيدر وهو ما زال في غزة يغني اغاني الحب والهوى . فلما اقتلعته القضية من ارضه وبيته ، بل من كل المبادىء الافلاطونية التي كان يدين بها ، تحول الى شاعر يجأر بشعر القوة ، ويبشر الاعادي « بالطوفان » . وهو نفسه قد صور هذا التحول في حياته تصويرا شعريا في قصيدته الموسومة « رسالة جندي الى حبيبته » التي قال فيها بلسان الجندي موجها حديثه الى اثيرة قلبه :

تسائلني حتام تبعد عن دربي ... وفيتم انصراف القلب عن موطن الحب
الست الذي غنى الغرام قصائدا ... تدور الايام في لوعة القلب
الست الذي اترعت بالحب كأسه ... ومن كان لحظ العين عن حبه ينبي

ثم يجيب عن هذا التساؤل بقوله :

سلوتك لما ان دعاني موطني ... لاعظم من حبيك يا منية القلب
واني لادري ان حبك مالك ... فؤادا حملناه على المركب الصعب
ولكنني قد صمت عن ذاك كله ... وكل جميل اللحظ بين الورى يصبي
فلم يبق وقت للغرام وللهوى ... وداعي الكفاح اليوم يدعو الى الضرب

وهي قصيدة طويلة جميلة ، خلط فيها الشاعر بين معاني الحب ومعاني الوطنية مغلبا الاخرى على الاولى ، في حوار جميل طيع السليقة .

والشاعر علي هاشم رشيد ، وان كان سمى ديوانه « بالطوفان » ، فحتى في خطابياته ليس هدارا يردد كلاما قافيته من القعقعات والصليل . فعقله يسبق لسانه ، وذهنه يمد من ضخامة حنجرته ، ولهذا نستمتع بشعره في قراءة هادئة ، ولاسيما تلك القصائد الانسانية التي تتخذ من الحوار قالبا لها ، كقصيدة « رسالة الجندي » وقصيدة « لا يأس » التي القت فيها طفلة صغيرة سؤالا على امها :

يا ام : هل نحن بلا ديار
ام حظنا نجم بلا مسار
حياتنا تحفها الاخطار
وزهرنا ليس له نوار
ام نحن يا ام ككل الناس ؟
يا ام اين بيتنا الحبيب ؟
يضمنا بساحة الرحيب

فقالت الام :

الوطن الحبيب للاباه
لمن ارادوا المجد في الحياة
من حطموا مكائد الطغاة
وقوضوا معاقل البغاة
يا طفلتي الصغيرة الحبيبة
لا يأس لا يأس مع الحياة

وهي كسائر قصائد الديوان تتضوع بالانسانيات الشفيفة وتنقل المعاني الوطنية نقلا غير مباشر الى القلب ، ولو كان قلب طفلة صغيرة تحار في فهم عليا السياسات .

ويستطرد بنا الحديث عن علي هاشم رشيد الى اول عهدنا بالمراسلة والمكاتبة . فقد كان يومها في غزة ، يطوع القوافي للاعراب عن مشاعره . ويومها وجه الي قصيدة مهداة نشرت في « الاديب »، كما اهداني شقيقه هارون هاشم رشيد قصيدة اخرى اندرجت في « الاديب » ايضا. ولا ادري ماذا صنع الزمان بتينك القصيدتين ، وما ذكرتهما الان الا لحرصي على هذا الشعر الاخوي النبيل، ولاشادتي بالمودات العزيزة التي تطاولت على تصاريف الزمان بيني وبين شاعرين من امجد شعراء فلسطين .

القاهرة — وديع فلسطين

انتظار

●

مضيت الى الموعد المنتظر
يقلب على جمره ما استقر
يسابق شوقا الى رؤية
ويخفق خفقا كريح السحر
يحن حنينا الى طلعة
تنير دجاه بنور القمر
ليروى صداه ومن قطرة
راى نبعها بعد طول السفر
تنسم عطرا ومن زهرة
سقاها بدمع هتون قطر
تمثل وصلا ومن زفرة
تلهب خد حبيب هجر
كان اللقاء وفي مرة
يعيد زمانا مضى واندثر
ويجمع درا الى درة
بعقد لشمل وكان انتثر
وقفت طويلا وفي وقفتي
حكيت صبورا اذا ما صبر
وما كان صبري سوى لوعتي
وتحت الرماد اللهيب استتر
وفيما اقاسيه من لهفتي
علي طويل من الوقت مر
وكدت لما زاد من حيرتي
اسائل من في الطريق عبر
واغلب حتى على خجلتي
واذكر ما عاشق ما ذكر
واسمع من مر من قولتي
« اعمن احب لديك خبر
تناسى لي الوعد في ليلتي
على باله الود ما ان خطر ؟»
انا من اذبت له شمعتي
فما كاد يبدو لها من اثر
انا من بسطت له راحتي
وفيها بوقد هواي شعر
انا من بذلت له مهجتي
وما ان عصيت له ما امر
واجريت في حبه دمعتي
ودمعي لغير الهوى ما انهمر
واسهرت من اجله مقلتي
فطال عذابي بطول السهر
كاني بما ذقت في حرقتي
تحملت وحدي شجون البشر
وناجيته الطيف في وحدتي
بمر العتاب وحلو السمر
وافعمت بالحب قيثارتي
لينطق قلبي حنين الوتر
وقلت اذا لم يعد بلبلي
فلا كان في الروض هذا الشجر
وان كان في حبه قاتلي
فنعم الشهيد اذا ما اشتهر
وقفت واني صريع الهوى
صديع الفؤاد شرود البصر
كاني بارضي نثرت النوى
وطال انتظاري لحلو الثمر
وقلت : له القلب من صخرة
ليحطم كاس المنى بالحجر
وان كان لا بد من عثرة
فليس لمثلي عفو وغفر
وقلبت عيني في نظرة
ولكن اخيرا حبيبي حضر

القاهرة
حسين مجيب المصري



نسيـــم نصر

النظرة الحديثة الى التاريخ

من خلال كشف علمي

بقلم نسيـــم نصر

• • •

عندما خلص الانسان ، في تعاقب الاجيال عليه وتطــور أحواله الحياتية ، الى اعتماد مسلكيات يختص كل منهـا بنحو من مقدمات استصلاح وجوده ، وانماء تفكـيره ، وترفيع مفاهيمه ، راح يمتحن قيمتها بالنسبة الى مـا انتهت اليه : من اقرار حقيقة اهتدى اليها العقل ، كمـا هي الحال في الرياضيات ، او من اعلان قانون اثبت صحته الاختبار ، الذي انتسبت اليه فئة كبيرة من العلوم ، او من بناء نظام اعانه بتلاحم اجزائه ليكون لغة يتناول بهـا وصف ما يرى ان يصفه ، وصوغ ما يريد ان يقوله . وفي غمار هذا الامتحان ، الطويل المدى والفسيح الجوانب ، ادخل التـاريخ.

فمذا كان من امر امتحانه ؟ وكيف يكون تصنيفه؟ سؤال طرح في صورة جدية ، بعد ان استقام للانســان تحديد كل علم بناء على مرتكزات ثابتة في مجرى الزمـان، قلما يستطيع ان ينال منها بسيرورته الدائمة ، فكيــف يكون الجواب عنه ، وقد رأينا أن التاريخ متحرك يجـري به الزمـــان ؟

لا بد لمن اراد أن يواكب النهضة العلمية المتفجرة بكل جديد، والقاضية بتجسيد الحقائق ، في الغالب ، من ان يأخذ نفســه باستعبار متسلسل حلقتها يستعرض فيــه وجوه التاريخ من اقدم منابعها حتى اليوم ، ولو في صورة خاطفة .

اقدم ما عرف الانسان من معنى للتاريخ هو انه مجمل الحوادث البارزة التي وقعت في مجرى الحياة البشرية ، والعناية بمعرفتها وحفظها . وكان ان غلب ،اولا ، حفظها على العنايـة بمعرفتها ، فاصبح التاريخ سجلا للماضي في مختلف ابعاده ، تشحن بـه حافظـة الخلف اخـذا عـن السلف . وهكذا استمر التاريـخ عبئا من اعباء الذاكرة ، اجيالا كثيرة من عمر الانسان .

ولما كانت ، لكل ما تعنى به حافظة الانسان ، قيمة ينتفع بها عند الحاجة ، كان من الضروري ان يبرر جهده الصابر على مطالعة التاريخ ، وادخار مايروقهمنه، تبريرا تكون فيه المعادلة بين الجهد والانتفاع معقولة مقبولة . غير ان استقامة هذه المعادلة ، في ما يتناول العصور القديمة ، لم تكن متوفرة ، اذ رجحت كفة المشوق من الحوادث التي قدمها مؤلفون عرفوا كيف يثيرون عند قرائهم لذة مشوقة. ولكل من اولئك الموهوبين قدرة على الاثارة، طريقة خاصة في فعل التشويـق . ومـع اتساع تلك الحلقة من الاثارة والتشويق كان لا بد من ردة فعل تطالب بـ « ولادةالمعرفة التاريخية الصافية» على حد قول بعض المعنيين بهذه الردة الفاعلة .

اذن فالضرورة جاءت تقضي بغربلة المروي عن مجرى حياة الانسانية الطويل وهو ما عرف بالتاريخ . فاذا كـان المؤلف التاريخي يعكس مشاغل عصره وافكار بيئته، حين يكتب ومن حيث يصدر ، فاننا نرى من الطرف الاخر ،ان المعنيين بدرس التاريخ وتدريسه، يستضيئون بما يمكنان نسميه تاريخ التاريخ . وهذه الغربلـة التي تفرض نفسها تترك ما تراكم من المؤلفات التاريخية في شبه امتداد متعرج او اتجاهات متباينة القصد متفاوتـة القيمة ، اذ ان نتائج اعمالهـم لا تعرف ، علـى حقيقتها ، الا بعد الكشف عـن حقيقة جهدهم .

وفيما نحن ماضون في هذا الكشف ، لا بد لنا من ان نلاحظ تفاوتا في درجات الحماسـة عند الشعوب لمعرفـة ماضيهم ، حتى ليبلغ هذا التفـاوت نسبـة هائلة في بعض الاحيان ، وعند بعض المجتمعات المتوغلة في القدم : فالمجتمع الهندي ، مثلا ، يبدو وكانه دون تاريخ ، هذا اذا لم يكـن للتاريخ منقيمة جذرية ، تتقدم الاهتمامبالماضي،اوتسيطر على فكرة ابراز الدولـة ، فبسبب غياب الدولـة في الهند يشغل الهنديون بالبحث عن مبادىء وطقوس ممارسة لحياة روحية تميزوا بها ، فاشغلت ذاكرتهم عن التاريخ ،في حين

اننا نجد مجتمع الشرق الادنى ثابرا على اهتمامه بالتايخ، محتفظا بصلته بالدين . وهكذا كان لحوادثه في معظمها ، حظ بالبقاء دينا ودنيا ، فكانت خزانة من خزائنه ماثلة في التوراة . ولعل ابرز ما يؤيد المخالطة الدينية ـ الدنيوية هـو الاهتمـام الـذي بداه فيلون ، الفيلسوف المعروف باليهـودي ، في القـرن الاول للميلاد ، حيـن راح يلقـح الافلاطونية المستحدثة بلقاح توراتي منحرف عن المفهوم المسيحي للتاريخ . ثم جاء بعده ، بحوالي ثلاث مئة سنة ، اغسطينوس المعروف بـالقديس ، فادخل علـى الصنيـع التاريخي ملامح الحجج الدينية المسيحية ادخالامايزال اثره باديا حتى اليوم .

وهنالك وجهان من وجوه التاريخ بارزان لا يمكـن اغفالهما ، هما الوجـه اليوناني والوجـه الروماني . الاول منهما تميز بتخليد البطولات على يدي هيرودوتس ، الذي قـال في تعريف نهجـه التاريخي : «انا افهم ، بكتابتي هذا التاريخ ، الاحتفاظ بمآثر الرجال لكي لا يمحوها الزمان، ولكي لا تبقى جلائل الاعمال ومدهشاتهـا ، سواء اكـانت يونانية ام بربريـة ، دون تعظيم وامتداح» . ولقد كـان هوميروس ، الشاعر اليوناني الاكبر ، مدرسة تعلم فيهـا المؤرخـون تمجيد البطولـة ، وجعلها ذروة مـن القيمـة والتقدير . وفي هذه المدرسة اعتمد الشاعر عقلانية ادخات الالهة في شؤون البشر ادخالا عمليا لا يختلف عـن اساليب الناس في شتى تنوعهـا . وهكذا غلب الطابـع الادبي على القصص التاريخي .

امـا الوجـه الثاني فقد تميز ، على حد قول م . دوميزيل في احد كتبه : «ان المؤرخين الرومان قد تمكنوا من ايجاد علاقات بين الاساطير الدينية والامكانات البشرية، اذ عرفوا كيف يجسدونها في التاريخ ، بينمـا نرى الامر مختلفا عند غيرهم من الشعوب ، الذين اخرجوا الحوادث البشرية من نطاقها وحملوها الى صعيد عجيب خارج عـن حدود الطبيعة» . ولقد امعن الرومان في العناية بالتاريخ ، فأسسوا «مخازن وثائق» في رومة ،وعنوا بها حتى حولوها الى كليات ، فأصبحوا اجدادا لمعتمدي الوثائق في التاريخ . ولكن على الرغم مـن محاولتهم الانضباط في البحث عـن الوقائع ، وحرصهم على المهارة السياسيـة ، والعظمـة الخلقية ، لم يستطعوا مسابرة مجرى الاحداث والاشياء دائما ، لانهم جعلوا من رومة «شخصية مركزية للتاريخ» ؛ فذهب الاجتهاد لخلق هذه المركزية ظاهرة رافقت كاتبي التاريـخ من بعدهم ، في كـل بلاد ، حتى امست «كتابة التاريخ قياما بوظيفة من وظائف الدولة » .

واما الانواع المختلفة من التاريخ التي نشأت في القرون الوسطى ، فليس بينها ما يلفت الانتباه غير الذي جاء منها متناولا تاريخ الاشخاص ، وبصورة خاصة ، المقارنة بيـن القديس والبطل ، وبين خلاص النفس ومجد الانتصار ، وعلى هذا الاساس ، كانت لكل مـن السلالات المسودة ، وسلطات الكنيسة ،في المراكز الاسقفية او في الاديار ،وثائق تاريخهم و«صكوكهم» الناطقة بشرعية حقوقهم .

غير ان هذا الاساس لم يكن في منجى من التزويرات تقوم عليـه . . . ولكن المهم هـو الا نحاكم اولئك المزوريـن القدامى بمقاييس اليوم ومفاهيمه .

وما ان كانت السنوات الاولى من العصور الحديثـة حتى توفر للحيوية التاريخيـة زخم جديد رافقها في مطلع النهضة متجسدا في مسلكية جديدة ، جاءت نتيجة لتشابك العلاقات الدولية ،والعمل على تنظيم التقنية الدبلوماسية. وقد وجدت هذه الحيوية ارضا خصبة في ايطاليا ، فراحت تستمد مـن نتاج الفلاسفـة الانسانيين ما اعانها على شق طريق عبدهـا معلمان كبيران همـا : فرانسوا غيشاردان (١٤٨٣ ـ ١٥٤٠) ونيقولا مـاكيافيلي (١٤٦٩ ـ ١٥٢٧) ، وكلاهما من اصحاب التأثير الفاعل في الصنيع التاريخي .

وبالاستناد الى العقلانية ،القائمة على الفكر الفلسفي، بدأ التاريخ يبعد عنه ما يثير الدهشـة وما يغاير الطبيعـة والعقل ، وما يحسب في باب الاعاجيب . كما راح ، مـن جهة اخرى ، يحل الخلق والبناء محل التعليم السياسي ، فاصبح المؤرخ يعول على الينابيع الادبيـة ، واعرض عـن الاهتمام بشأن الجماهير الشعبية ، وصار التاريخ وقفـا على الملوك والعظماء .

وعندما رجحت كفـة الدعاوة في التاريخ على مصادر الحوادث ودرسها ، اقتضى هذا الرجحان ان تتوفـر في المؤرخ صفات الكاتب الاديب . وهكذا وقـع اختيار لويس الرابع عشر على راسين الشاعر وبوالو الناقد ليكتبا لـه تاريخه الشخصي . ومثل هذا الاختيار جرى في المانيـا ، حيث اتخذ الفيلسوف ليبنيز ، المؤرخ الشخصـي لاسرة دي ويلف . اما في بعض البلاد الاخرى ، كانكلترة ، مثلا ، فقد جعل التاريخ في خدمة الاحزاب ، ولكن دون ان تذهب عنه صبغة الارتباط بالاشخاص قبل الاحداث . وهذا مـا اضفى على التاريخ صفة المفهوم السياسي ، وهذه الصفة، بـدورها ، حملت المؤرخ على ان يشعر بوجود الحوادث ، التي يتناولها مادة لمؤلفه ،كائنة خارج ذاته ، وما عليه الا ان يسردها في انشاء يغري بالقراءة .

وفي اواخر القرن السابع عشر ، كان التاريخ قد نحا نحوا علميا مستندا الى اساليب نقدية ، واخرى منطقية ، فبلغ قمته، في هذا الاتجاه ، مع سبينوزا في « المعاهـدة اللاهوتية السياسية» . وشاعـت هذه الطريقة ، وكأنهـا مهمة جيل ، على حد قول مارك بلوك ، وهـو الجيل الذي شهد الطلوع الديكارتي مؤيدا كل قول بالمنطق ، ليكون ذا قيمة . غير ان هذا النقد الديكارتي الذي دخل على التاريخ، جاء جادا ليجعل منه، اي التاريخ، وسيلة لا غاية، ينتهي بها الاعتبار العقلاني الى تحويلها اداة من ادوات المعرفة . ولكن هذا التنقيب النقدي جعل مهمة المؤرخ اشد مما كانت عليه واسهل في اونـة واحدة : اشق لجهة ثقل المواد المتجمعـة

تفرض وجودها على المؤرخ ، واسهل لجهة قدرته على سلوك طريق تساعد على تناول المحتوى دون الاخذ بمزينات السرد القصصي المموه حقيقة الحوادث . فخلاصة ما يجب ان يأخذ به المؤرخ الحديث الا يعنيه الماضي الا بمقدار ما يعينه على فهم الحاضر ، ويوحي اليه بكيفية تهيئة المستقبل .

وهكذا سار التاريخ في نحو تناول كل الناس بدلا من اقتصاره على البلاطات والمجالس الدولية والعائلات المتزعمة انتهى به الى تأريخ المجتمعات ، فبعد ان كان التاريخ ،حتى اواخر القرن السابع عشر ، ضربا من الحكايات التي تنحرف بالفكر البشري الى التفرد بمعينات مفروضة ، سار في نحو اخر يتناول المجتمع في مجملاته ، وفي تفاصيله التي يتكرر حدوثها حتى اليومي احيانا .

وكان لا بد للتاريخ من ان يمر بمرحلة يؤخذ فيها كاتبوه بشيء من الرومانطيقية ، اذ خالط كتابة التاريخ شعور بالعاطفة القومية التي كانت تدفع المؤرخ الى تحسس ماضي شعبه بحماسة من يكتب ماضيه الشخصي ، فاذا بالحياة تصبح عنصرا فاعلا في ذلك الموروث القديم من الوثائق .

وبعد الصراع المضني خرج التاريخ ،في القرن التاسع عشر ، على ايدي بعض كبار المؤرخين ، الى أن يكون نوعا من «السلطة الروحية» ، فيلعب دوره الموجه في بعض البلاد فتتلمذت عليه اجيال من الناشيء المتفتحة على شيء من التلاحم المتماسك بين الوطنية والقومية ، كما استطاع ان يفعل ، مثلا ، ارنست لافيس في فرنسا .

واخيرا نجد انفسنا امام تاريخ علمي ، في اعقاب النهضة العلمية التي احدثت ثورات في كثير من التقنيات والمؤلفات المعتمدة قواعد قياسية ، وهو تاريخ بدتطلائعه في مطل القرن العشرين ، وراحت تتركز في مفاهيم منظمة حتى جاءت جديرة بأن تعرف ب «مختبرات تاريخ» . وفي هذا الصدد كان الفضل الاول لالمانيا .

لكن هذه النزعة العلمية التي سيطرت على التاريخ سيطرة تغلب عليها المادة لم تلبث ان باعدت بينه وبين المسلكيات الانسانية ، مباعدة تنتهي الى سوء فهم وثائق الماضي . ذلك لان النتائج التي توصل اليها العالم العرقي أو العالم الاقتصادي في ملازمته ظروف الانسان ، لا بد من ان يكون الاستناد اليها كبير الفائدة في تفسير وثائق الماضي على ان لا يكون هذا الاستناد مبالغا فيه . فبدلا من ان نترك للوجودية الطاغية ، ابتداء من النصف الثاني من القرن العشرين ، ان تقدم للانسان المعاصر ذاتية التاريخ كضعف يجب ان نتنكر له ، علينا ان نطمئن الى المؤرخ الذي يصنع نفسه في المكان الذي عاش عليه ناس الحقبة من الزمن التي يكتب تاريخها .

من هذا كله نخلص الى القول ان بديهية استمرار نواميس الطبيعة ، تحمل المؤرخ على الاعتراف بان الطبيعة البشرية تبقى في قرارتها مماثلة الوجود في مختلف الحالات والظروف ، على كره من التفاوت والتباين في التنشئة والثقافة ، كما ان ردود الفعل والتحسبات عند ناس الماضي يمكن الا تكون بعيدة عن تفهمنا عواملها ونتائجها ، دون ان تقع في ذواتنا موقعا ايجابيا . وبما ان اثار الماضي تبدو اضعف مغزى واقل اثرا في نفس المؤرخ كلما ازداد بعدها عنه : مكانا وزمانا ، وبما ان مؤرخ اليوم يحيا في مجتمع عقلاني متمرس بالمعقولات ، بعيدا عن العناية بفهم ناس الماضي وقضاياهم ، كذلك يقتضبه كل اكتشاف من الماضي جهدا لالغاء الاقليمية من نفسه ولاقتلاع ذاته من دنيا الحاضر والعودة بها الى الماضي ... ! ! ولولا ان في طبيعة الانسان ، على الغالب ، ميلا الى تعرف الماضي ، والوقوف على احوال ناسه ، لما كان للخلف حاجة في الاحتفاظ بتاريخ السلف ، احتفاظا يعول عليه كعلم ، او كمستندات ذات قيمة ملحوظة او ملموسة .

ولكن ، هل التاريخ علم ؟ الجواب : نعم ، ولا ...

لا : لان التاريخ لارتباطه بالتفرد في جمع الحوادث يستغني عن اجراء اي اختبار يتناول العناصر التي يجمعها مموها ما يجمع بصفة العناية الشخصية ، حتى اذا تناولنا حادثة واحدة لمؤلفين اثنين يختلفان في النظرة اليها ، لاوشكنا ، احياناً الا نتبين وحدتها الا من وضعها الزمني وحيزها المكاني . فالتاريخ لا يخضع للاستدلال بالشواهد النظرية ولا يستعين بالاجراءات المختبرية . لذلك فهو لاينتهي الى اثباتات عامة ومتناقلات تحديدية ، ولا يمكن ان يكون الا سردا . واذا جاز ، في بعض الحالات ، ان ينتفع المؤرخ بالاعتبارات العامة التي تعتبر معادلة الاختيار ، فان هذا الانتفاع يبقى في صفة التدخل كاداة لا كقاعدة . كما ان المؤرخ ، لا سيما ان كان موسوعيا ، فانه يكتب التاريخ جاعلا من الاخلاق والمؤسسات موضع عنايته ، هذه بطبيعتها نظرية فكرية ، لا ترتكز على قاعدة علمية ثابتة .

ونعم : لان التاريخ ، في المدى الذي بلغه من الاحاطة بتحرك الزمان ، ومن فرض اعتباره حياة المجتمعات البشرية ، وانه المسمى الذي لا يعيد نفسه في صورة مماثلة ، بدا وكأنه علم او هو معيار العلم الذي لا بد منه . انه الضوء الكاشف على طريق الانسانية ، نحو غدها ، والمستمد من ابعاد الماضي المقاييس المعينة على هندسة المستقبل .

نسيم نصر

عشـــــرون

اليها في عامنـــا العشرين

الدكتور احمد مطلوب

جامعـة الكـويت

عبرت كأحلام الخيال عشرون تعبق بالنضـــال
فوقفت أسالها وفي خطـــواتها رجع الســؤال
اين الليـــالي الحالمـــات ؟ واين سمار الليالـي
أيـن الليـــالي الحالكـات تـؤود اعناق الرجال
أيـام تصطرع الحيـــاة وتستحيل لظى حيالـي
وتمـوج بالخـطب العظيـم فـلا أهاب ولا ابالي
واعــود كالنسر المحـــلق تستبيـه ذرى الجبال
لا الليــل يرهبنـــي ولا الاهوال تزحف كالصلال
عشرون مـــا أحلى الحياة تضوع بالسحر الحلال
عشرون مـا أسمى الحياة تخوض معترك النضال

كـان الربيـع يطل والدنيـــا تشـــع بمقلتيـا
وعنـــادل الحقـل الحبيب تغازل الثمر الجنيـا
والباسقات يعمـــن في الشط الطروب هوى وريا
واتى الخريف وكان في ليـل الضنى صرا عتيـــا
وتصوحـت زهرات فجر لم يطـف الا مليـــا
ووقفت كالطود الاشـم يعانـق الفجر القصيا
وانـا هنالك يطبـق الليل الرهيب أسى عليـا
فأراك من بـين الظـلام خميلـة تـومي اليـــا
وأراك والام الرؤوم فتشـرق الدنيا لديـــا
ومضى العـــذاب وكنـت في ليل العذاب فتى أبيا

عشرون تسخر بالصعاب وقد عبرن على الصعاب
عشرون تزخر بالنضال كـأنهن سنى الشهـاب
عشرون قــد سقـطت بهـا الالاف ذلا في التراب
عشرون مـا لان الابـــاء ولا توقف عند بـــاب
كـان الظلام وما ارتعشت وسرت في دنيا العذاب
كالليل يزحف كالرياح تثير اجنحة السحـــاب
كالفجر يشرق كـالحيـاة تعـود للارض الخراب
لـم يكذب الحلـم الجميل ولا تلون كـالسراب
فـاليوم عاد لي الربيـع وعـدت أهزأ بالصعاب
واليـــوم تبتسم الحياة وتستفيق رؤى الشباب

عشرون يا املـي وانـت معي صلاة وابتهـــال
عشرون يـــا املي وانـت معـي كما شاء النضال
عشرون اذكرها وتذكرني لياليهـــا الطـوال
عشرون اذكرهـا ويذكر صفوهـا النبع الـزلال
مـرت وانـت كمـا عهدت وما تصوره الخيال
غراء تزهر كالربيـع خميلـة ليســت تنـــال
تهوي الجنائن وهـي خالـدة كحبك لا تطـــال
وغدا تمر بنا السنون ويستقر بنا المــــآل
ونعود نذكر رحـــلة عبرت بهـا حال وحـــال
ونظـل نفخر اننـــا سرنا وقد سقطت رجـال



بقلم الياس قنصل

نصيحة مني ايها القارىء ، نصيحة تساوي جملا ، خذها مجانا .. اذا تعطلت في بيتك آلة من الالات التي اخترعتها المدنية الحديثة لتزيد في رفاهتك ، فلا تتكل في اصلاحها على **المتطوعين من اصدقائك .. قدم** اليهم الشكر الجزيل يصحبه اعتذار كريم عن عدم حفولك بهم ، وايثارك عليهم رجلا غريبا لاعادة الالة الى حالتها السابقة .

لا تفرح بالاقتصاد الذي يلوح لك به الصديق ، انه اقتصاد خيالي غير مضمون ، قد تكون نتائجه الوخيمة اوخم مما تحسب ، واكرر لتفهم : **اذا تخربت في بيتك آلة ، فلا تسلمها الى صديق لك كائنا من كان، بل اطلب من حوانيتها الخاصة من يصلحها ، واد له ما يستحق من الاجرة . افعل ذلك وانت من الرابحين .**

ان المتطوعين من الاصحاب في مثل هذه الحالة كثيرون ، كثيرون جدا . جميع اصحابك متطوعون ، يدعون انهم يركبون آلاتك ويخربونها ، ثم يخربونها ويركبونها بالسهولة التي يحلقون ذقونهم .. اياك اياك ، واصغ **لما جرى معي ، فالحكيم من يستفيد** من مصائب الناس ، لا من تنزل عليه **المصائب . الفيلسوف من يعتبر** بمن يموت ، وليس الفيلسوف من يموت .

كان في البيت الذي اسكنه مطبخ كما لا بد ان يكون ، وكانت في المطبخ حنفية متى اقفلتها لم تنضبط كما يجب ، فتفلت منها قطرة واحدة من **الماء كل نصف ساعة تقريبا** ، اي اربعون قطرة في اليوم أو اكثر قليلا .

ودعوت مرة صديقنا الى الطعام ، وكان الطقس باردا ، فبسطت السفرة في المطبخ فهو ادفأ ، فلفتت نظره قطرة الماء التي تسقط من فم الحنفية كل ثلاثين دقيقة ، فقال :

– وهذه ؟

قلت : سببها ان قطعة الجلد التي تضم شفتي الحنفية بالية قد حان ابدالها ، **والامر من التفاهة بحيث انسى او اتناسى دعوة عامل يقوم بهذه المهمة ولم يكن قصدي** تهوين القضية ، فهي كذلك .

فقال لي الصديق :

– اعندك مطرقة وملزمة ؟

قلت : **لا اريد ان تزعج نفسك .**

قال : اني اصلحها لك في دقائق معدودة .

وعبثا حاولت ان اصرفه عن عزمه .. وهددني بان يعتبر رفضي شكا في عبقريته .. فلم ار بدا من الاذعان ، **واتيت له بما طلب .**

فشمر عن ساعديه ، وراح يفك الحنفية ، **فعرضت عليه مساعدتي ،** فقال :

– اتركني وحدي فلا اطيق ان يراقبني الناس وانا اعمل .

فلبيت امره – مرة ثانية – وتحولت الى القاعة المحاذية لتحبير مقالة لجريدة .

ومر نصف ساعة ، فاطل من باب المطبخ قائلا :

– آتني بازميل وفأس وهراوة ومعول .

فلبيت امره – ثالثة – وانقضت ساعة كنت اسمع اثناءها قعقعة هذه الادوات وخشخشتها ... واحسست ، فجأة ، وانا جالس الى المنضدة برطوبة في قدمي ، وتأملت فاذا الماء يتدفق من ارض المطبخ الى ارض القاعة ... فوقفت مسرعا ، وتوجهت الى حيث صديقي وما رآني حتى قال لي وهو يمسح **العرق المتصبب من جبينه :**

– لم اغير جلدة الحنفية **لانني خشيت ان تبلى بعد سنوات ،** فيقتضي تبديلها من جديد ، **ولكني بحثت عن التعطيل من اساسه ،** فرفعت قرميد الجدار عن الانبوب **الذي يوصل الماء الى هنا .**

فكاد يطير عقلي من حباله ، ولو كان غيري لطار عقله ، وهل الام وقد شاهدت جدران المطبخ محطمة الجوانب ، والتراب مكدسا في انحائه **والغبار حاجبا السقف** ، كان قنبلة سقطت في الدار عفوا من طيار بدائي ؟

واشعل زناد حنقي ان صاحبي نظر الي نظرة خفيفة ، وتابع عمله ، فتقدمت منه لاحول بينه وبين بقية حائط **لا يزال قائما ، فقال :**

– لا تخف ، اني وعدتك بان **اصلح لك الحنفية ، وسأصلحها ، ولو** رأيت نفسي محمولا على اللحاق بمجرى الماء الى ينبوعه في البحر المتوسط .

واهوى بالمطرقة على القناة ، فوسع **ثقبها ، وتدفق الماء كمن افواه القرب ... فلم يحفل بذلك قليلا ولا كثيرا .**

فقلت : ارجوك ، اقطع الماء فقد يتبلل منه اثاث الدار فيتلف .

فقال : طيب .

وتحول من **المطبخ الى الفسحة** الخارجية يبحث في الجدار عن مكان القناة الخفي ، فوجده ، **فاهوى** بالفأس عليه حتى فتح ثغرة طولها متر ، **فظهرت انبوبة من القصدير .**

فقلت : وما تفعل الان ؟

فاجاب : انتلا تفهم هذه الشؤون فدع **الاستغراب . اني افتح القناة** هنا فيسيل الماء منها ، فلا يصل الى **المطبخ ... ونفذ خطته .**



ولا اطيل ، فقد كسر جميع المجاري المائية في البناية ، ولم تنقض على عمله ساعتان حتى كانت الدار كأن الله ضربها بطوفان ثان ، وبلغت المياه في بعض الغرف عشرة اقدام .. وتوافد الجيران ، فساعدونا على نقل ما سلم من الاثاث الى الشارع ... وبلغ الخبر الى دائرة الاطفائية ، فاسرعت بسياراتها ورجالها ومضخاتها وسلالمها ... وقدم رواد الصحف ، فأخذوا الرسوم العديدة وتفضل جار كريم لي ، فانزلني شقة من داره الى ان ارمم حالي.

وزارني في اليوم الثاني مدير مصلحة الماء البلدي ، فأخبرني ان الدائرة تطلب مني تعويضا عن الاضرار التي الحقتها بالمدينة اذ بقيت المياه مقطوعة عنها هزيعا من الليل .

وجاءني محام موفد من صاحب الدار ، فأنبأني انه رفع علي دعوى بحجة اني هدمت البناية التي استأجرتها منه ودفعت التعويض المذكور عن يد وانا صاغر ، وكانت القيمة باهظة جدا .

اما دعوى صاحب الدار ، فقد اوكلت محاميا من اصدقائي لصدها ، ولبثت الملفات والعرائض قائمة على قدم وساق بيني وبينه اربع سنوات حتى مل القاضي مني ومنه .

واسمع الحادثة الثانية ، وان تكن لا توازي سابقتها خطورة :

انا من الذين لا يستطيعون النوم ما لم يطالعوا عدة صفحات من كتاب او مجلة ... وكنت افعل ذلك وانا جالس على متكأ وسط الغرفة.

وجربت ، ليلة، المطالعة في السرير فوجدتها الذ واوفر للوقت . . فصممت عليها ، واستنسبت ان انقل زر النور الكهربائي من مكانه الى جانب السرير وسألت صديقا عن عامل بسيط يقوم بهذه المهمة البسيطة ، فقال لي : اشرح ما تريد ، وانا للامر . فذهبت به الى الغرفة ، وبسطت له قصدي .

وراح يماطلني من يوم الى يوم حتى انقضت على الحادثة اربعة اشهر ، وحل الصيف ، وتهيأت للغياب عن العاصمة اسابيع استعادة لنشاطي كما هي عادتي في كل سنة.

وناديت الصديق المذكور ، وقلت له : اني اسلمك مفتاح الدار، فتكرم واغتنم من وقتك هنيهة اثناء غيابي وانقل زر الكهرباء الى قرب السرير، فرضي.. وصدق في وعده .

وكان من بين الذين استقبلوني على المحطة يوم عودتي.

واردت ان ادخل الى الغرفة ، فقال لي : انتظر قليلا .

ونشر امامي على الطاولة ورقة كبيرة طولها اربعة امتار وعرضها ثلاثة ، فيها خطوط عديدة متشابكة، وقال :

ـ اني نقلت الزر الكهربائي من وسط الغرفة الى جانب سريرك ، وها هي خريطة الاسلاك الكهربائية في غرفتك . ان هذا الخط الاحمر الذي يبدو في الطرف هو الشريط الذي يصل القوة من ادارة الشركة الى غرفتك ، فلا تمد يدك اليه ، لئلا يشلك انتفاضة . وهذه الدائرة الخضراء التي تنتهي هنا هي التي تحمل الكهرباء الى هذه الزاوية السوداء ، وعليك قبل ان تضغط الزر ان تضم هذه اللوالب الى بعضها ، والسطر المسنن الذي تبصره هناك هو عبارة عن الشريط الذي يجب ان تديره كل خمس دقائق ليظل النور متواصلا ، وهذا الخط الاخير الصورة عليه جمجمة وعظمتان هو خط مكشوف ، يكفي ان تلمسه لتتكهرب الدار برمتها وتمتد السنة اللهيب الى جيرانك ، فاذا حدث الحريق الذي اذكر ـ ومن المرجح ان يحدث بين الحين والاخر ـ فتابع حالا هذا الخط يفضي بك الى صندوقة التخزين الكهربائي ، وحطمها ، اما وصيتي الاخيرة لك فهي ان لا تضغط الزر الذي بجانب سريرك الا بعد ان تطفىء سائر الانوار في الدار ، واحرص على ان تكون واقفا على خشبة ليس فيها اقل رطوبة ، وان يكون في يدك قفاز من المطاط . انتبه الى هذه الوصية الاخيرة ، فعليها تتوقف حياتك .

وكان الصديق يشرح لي خريطته وانا اظنه يمزح ، فتركته ، وتوجهت الى الغرفة ، فاذا هي فعلا مزروعة بالاسلاك الكهربائية والمشابك الفولاذية والكلاليب الحديدية والدوائر النحاسية ، وقد صور في المفاصل الخطرة نعوشا عليها اموات .

ولا ابالغ : لقد حضرت فيلما سينمائيا عن حصون « ماجينو وسيغفريد» فلم يكن فيها من الغرائب ما في غرفتي ... ولكي اضع امام القارىء صورة مصغرة عن الغرفة اعرض عليه بيان الاغراض التي استعملها الصديق المذكور :

الف واربعمائة متر من الاسلاك العادية ... ثلاثون حبكة منسوجة ... اربعون مشبك من الفولاذ الاسود ... عشرة كلاليب ضخمة.. عشرون كيلو مسامير .. مائة لولب نحاسي ... ستمائة برغي ... سبعون قميعة مربعة ... اربعون انبوبا من الرصاص ... ثمانمائة زر كهربائي من العجائن... صندوقة تخزين وزنها تسعون كيلو وقوتها عشرون حصانا ... مرفشة لتحطيم الصندوقة عند الخطر ... مرش آلي لاستعماله عند حدوث الحريق.. مخرز ومخرطة وبركار ومبرد وملقط ومنشار واشياء اخرى مجملة لا اذكرها بلغ ثمنها عشرة اضعاف الحاجات المفصلة .

واديت له ثمن الاغراض ، وهل انكرها عليه ، وبعت ، لذلك دارا املكها ورهنت دكاني التجاري، وما تبقى من المبلغ جعله علي اقساطا شهرية ما زال منها حتى كتابة هذه السطور سبعون قسطا . والسنوات ـ ربك حميد ـ سريعة المرور .

على اني لن اكون من اللؤم بحيث انكر جميل الصديق هذا، فقد حملني على ان اجهد ذكائي

سنواتنا

صفاء الحيدري

بغداد

وغداً هنا
تقف السفائن والدنى
في مرفأي عينيك في شفق المنى
جاءت زوارقهم تعوم . وكنت اسبقهم انا
الافق كان مضرجا
والموج كان ملونا
والشمس كانت تصهر الذهب المعطر في السنا
ومدى الرؤى
كانت لنا .
مدن
قرى مسحورة ، دنيا غنى
وشواطىء لم ترتعش احلامها
الا بنا
وبكل مرشق نظرة
درب ، رصيف ... منحنى
كنز يتمتم حولنا
كنا جناح فراشة لم يحترق
عبر الضنا
لم نبك في احلامنا
لم نشك في ما بيننا
اما الدموع ، فلم تكن تعني لنا
شيئا
ولم تك تقتني
كنا نبعثرها هنا وهناك او في اللا هنا
كانت لآلىء لم يكن فيها سنا
سنواتنا كانت أرق . أهش من أن تجتني

قالت تحدث نفسها
وتلوك احلام المنى
دقات ساعته الكبيرة أبطات فامضي بنا

للاستفادة من هذه الحالة فاستفدت.

اني تركت الغرفة كما هي، واذعت بين اصحابي اخبارا يستدل منها على اني عليم بالكهرباء من الطراز الاول واصبحت اذا جاء لزيارتي رجل **لا عهد له بداري** ، افتح له باب الغرفة، واقول له متظاهرا بالتواضع:

ــ هذا مكان الجأ اليه احيانا للقيام ببعض التجارب .

وتكفل هؤلاء الزوار وغيرهم بتضخيم الاخبار ، وتزويقها كما هي عادة الناس ... واخر ما وصلني ان كثيرين من معارفي الاباعد يعتقدون اني من الذين ساهموا في اختراع القنبلة الذرية .

فاذا قال قائل ذلك ولم يصدقه سامعه، امسك الاول بزند الثاني وهمس في اذنه :

ــ اذهب الى داره ، ان عنده مختبرا كهربائيا في غرفة خاصة ترتعد لهوله الفرائص .

والشطر الاخير من هذه العبارة صحيح لا غبار عليه ..

عاصمة الارجنتين — **الياس قنصل**



عبد الرزاق الهلالي

الزهاوي بين العاب الداما وسباق الخيل والحمام القلاب

بقلم عبد الرزاق الهلالي

* * *

قد يستغرب القارىء الكريم ، اشد الاستغراب ، حين يسمع ان شاعرا كبيرا له في عالم الفكر والفلسفة والشعر والادب ، مقام بارز وشأن كبير ، تستهويه بعض الهوايات والالعاب الشعبية ، فيمارسها فترة طويلة من حياته ، فاذا هو بعد تلك الممارسة ، يخرج على الملأ ، بنتائج اختباراته في تلك الالعاب والهوايات ، ويبدو في كل ما كتب عنها ، باحثا بارعا من الباحثين في المأثورات الشعبية او ما يسمى بالفولكلور !

اما هذا الشاعر الكبير ، فهو شاعر العراق المعروف ، جميل صدقي الزهاوي ، واما ابحاثه ودراساته الفولكلورية هذه ، فتحفل بها بعض المجلات العربية الشهيرة !

وقد نبهنا الزهاوي نفسه ، الى ولعه بهذه الالعاب حين قال في رسائله الى الاستاذ احمد محمد عيش ما نصه (1) « وكنت في طفولتي العب بالكعاب ، ثم بالحمام القلاب ، فاطيره اسرابا . وقد نشر لي « المقتطف » مقالة في بيان سبب تقلبه ، ورجح تعليلي على تعليل العلامة دارون ! وولعت بركوب الخيل ، فكنت اسابق بكرامها ، غيري من غواتها . وقد نشر لي « الهلال » رسالة في سباق الخيل ، ذكرت فيها كثيرا من الحقائق المتعلقة بالعدو. ثم ولعت بلعبة «الداما » فألفت فيها رسالة سميتها « اشراك الداما » جمعت فيها ٥٠٠ لعبة لاساتذة الداما واضفت اليها من مستنبطاتي ١٠٠٠ لعبة !»

وحيث اننا كنا وما زلنا نبحث عن كل ما خلف هذا الشاعر الكبير من آثار فكرية وادبية وعلمية ، فقد رجعنا الى مجلتي «المقتطف » و «الهلال»، ووقفنا على مقاليه هذين ، ولكننا لم نقف على رسالته « اشراك الداما » ولعلها فقدت مع ما فقد من اثاره بعد وفاته !

ويطيب لنا ، ان نبين لقراء مجلة «الاديب» الزاهرة، بعض ما خرج به من نتائج واراء ، من دراساته الخاصة ، بسباق الخيل والحمام القلاب ، تلك الدراسات التي قوبلت في حينه بالتقدير والاعجاب !

الخيل وسباقها : فحين بعث بمقالته الموسومة بـ «الخيل وسباقها » الى مجلة «الهلال»المصرية،نشرتها له في عددها الصادر في شهر اوغسطوس من سنة ١٨٩٦، وقال عنها رئيس تحريرها بن الزهاوي « جمع فيها ما اختبره بنفسه من امتحانات اجراها بخيله ، وبما ان هذه الحقائق لا يتأتى العثور عليها في الكتب العربية ، ولا ترجمتها من الكتب الافرنجية ، لانها فريدة في بابها، فننشرها مع الشكر لحضرته »! فاذا كان الامر كذلك فما الذي قاله الزهاوي عن هذه الامتحانات ؟!

لنقرأ معا ما قاله عن سباق الخيل في بغداد « وبغداد، ام المدن العراقية واكبرها فهي حاوية لخير خيولها العربية ،تتوارد اليها في كل الفصول ، لاسيما في فصل الخريف ، امهار عربية ، من البدو ، يشتريها الاهلون، ومع ذلك كله لم ار ميلا طبيعيا للسباق ، فلا يقتنون الخيل ، الا للزينة والبهرجة والتفاخر ليقال عند فلان ، كذا من الخيل ، او للبيع، حسب تفاوت الاميال والمراتب ، فلم يجر فيها (بغداد)سباق حتى قدمها الفارس الشهير، والقائد الخطير، اللواء محمد فاضل باشا الداغستاني ، من العائلة الشاملية النجيبة ، فهولشدة ميله ، وتوغله في فن الفروسية ، صار من يوم قدومه، يحث سائر الامراء ، والمامورين على اجراء السباق بين خيولهم !

وفي اول سنة من ذلك ، قر القرار على ان يجروه (اي سباق الخيل) في دائرة محيطها (ميل انجليزي) ، كان قد انشأها القنصل الانكليزي لتمرين خيله .. ثم في هذه السنين الاخيرة ، حولوا المكان الذي كانت الخيل تتسابق فيه ، وعملوا دائرة محيطها (٢٢٤٠ مترا) فارسلوها فيها ثلاث دورات متوالية ! »

اما النتائج التي خرج بها بعد اشراك خيله في هذه

---

(١) ـ مجلة الكاتب المصري القاهرة ١٩٤٦

السباقات ، فقد اوضحها لنا بقوله « وقد كنت انا ، في **اخريات هذه السنين** ، من الذين ، مرنوا خيلهم على الركض للسباق ، فأجريت بنفسي امتحانات ، اثبت **خلاصتها هنا ، ولعل في بعضها فائدة لاربابه** :

أ ـ ان الفرس الذي لم يمرن على العدو ، تمرينا وافيا ، ولم يضمر كذلك ، تضميرا كافيا ، يتأخر يوم **السباق .. وربما سبقته في المسافات الطويلة (البراذين) المضمرة !**

ب ـ **وقد انتبهت اثناء تضمير الخيل وتمرينها ،الى** امور ، ربما كانت مهمة عند اربابها ، اذكرها على طريق الاجمال ، لعلها تفيد البعض ، منها انه اذا تسابق فرسان مضمران ، وممرنان على درجة واحدة ، وركب احدهما رجل ثقيل الجثة ، **لا يقل وزنه عن ١٠٠ اقة عشرية** ، **والاخر خفيف لا يزيد وزنه على ٥٠ اقة ، فالخفيف يفوت** الثقيل مسافة فاحشة ، وكل ما طال المدى ، زاد الفرق بينهما !

ج ـ وخير الخيل السابقة ، ما اذا مد ، اسرع ، **ولكن السرعة قليلة عند التي تمتد كثيرا !**

ومما جربته ، ان الخيل ، سواء كانت فتية او لا،لا **تعدو** ، اول سنة تضميرها ، كما ينبغي ، بل انما تعدو **العدو المطلوب في السنة الثانية والثالثة** ، بشرط ان تمرن **في السنة الاولى والثانية ايضا ولا تترك !**

وخير التمرين ، **ان يعلم الفرس** ، على الخطو الكبير **عند الارقال (وهو العدو الثقيل العادي** ، وتسميه عامتنا : **الهذبة**) ويدرب على السكينة وعدم الاستعجال والحدة ، **فهذا لا يتعب ، ويقطع المسافات الطويلة باسرع ما يمكن مع كمال الراحة !** »

« والذي تحققته بالخبرة ان (الفلو) العريض الجبهة القصير الاذن ، الكبير العين ، العريض الفكين ، الواسع المنخر ، وما تحت الفكين ، المستوي الراس ، الناتىء العضلات والاعصاب ، المستطيل الرقبة ، المستدقة المذبح المتين المفاصل ، القصير الرسغ ، العصبي التوائم ، الصلب الحافر ، الرقيق الجلد ، الناعم الشعر ، الطويل الجثة ، الذي تلوح على وجهه لوائح المجد ، هو الذي تظهر جيادته ، بعد ان يبلغ كماله اكثر من غيره ، وهو الذي يوافق للسباق ، ان اقترنت بهذه الصفات نجابة له . واكثر السوابق تكون اكفالها منحدرة قليلا » .

تلك هي اهم النتائج التي خرج بها هذا الشاعر الكبير ، عن الخيل وسباقها ، اما من اراد الاطلاع على النص الكامل لتجاربه ، فليرجع الى مجلة « الهلال » التي ذكرنا عددها آنفا !

الزهاوي والحمام القلاب : وفي سنة ١٩٠٨ ، وبعدد مجلة « المقتطف » المصرية الصادر في شهر اغسطس من هذه السنة ، نشرت له هذه المجلة مقالا بعنوان « الحمام القلاب وتولده » ، عقب عليه ، رئيس تحريرها بكلمة جاء فيها « لقد راقت لنا هذه المقالة من وجهين ، الاول انها ارتنا انه لا يزال في بغداد ، في هذا العصر ، اناس يلهون **بهذه الملاهي** ، **المحللة** ، التي تفكه النفس ، وتطرب القلب ، **فلم يخيم ليل الظلم على البلاد كما يصورها قوم ! والثاني ان حضرة الكاتب ارتأى رأيا وجيها في اصل الحمام القلاب** ، لو سمع به دارون او خطر على باله ، لاحله محله **من الوجاهة** » !

فما الذي حمل الزهاوي يا ترى على كتابة هذا المقال ؟! والذي بدا لنا من مطالعة مقالته هذه ، انه كان معنيا **بهذا** الموضوع قبل نشر مقاله هذا ، باكثر من اثنتي عشرة سنة ، فقد قال في مقاله « وسألت « المقتطف » الاغر ، قبل اثنتي عشرة سنة تقريبا ، عن كيفية (تولد الحمام القلاب) لاعلم آراء الغربيين فيه ، فقال ، فيما اتذكر ، ان دارون ، يرى ان هذا الصنف من الحمام قد ثقل رأسه بالنسبة الى جسده فصار ، يتقلب في طيرانه لهذا السبب » !

ولعله كان ينتظر هذا الجواب ، ليبدي ، رايه في سبب تقلبه ، ولذلك جاء في سنة ١٩٠٨ يقول « ان الذي **اراه سببا للتقلب ، فهو ان هذا القسم من الحمام كان** يسكن ـ في سالف الدهر ـ ارضا كثر فيها وجود حيوان صغير ، مفترس ، يثب عليه كل ما اراد الوقوع على الارض ، فيأخذه طعاما له ، ولم ينج منه الا المسرع في الرجوع القهقري الى السماء . ولما كان ذلك غير كاف لنجاته ، وما نجا منه الا الذي اسرع في الرجوع وتقلب اثناءه الى الوراء ، حفظا لحياته من مخالب عدوه الخفيف وذلك وفقا لقانون البقاء للاصلح ، فتأصلت هذه الصفة ، وصارت طبيعية وافادته في وقت الحاجة ! »

والظاهر ان الزهاوي اتخذ هذا الرأي واسطة لبيان معرفته بانواع الحمام الذي كانت له فيه تجارب عدة ، ولذلك قال « الحمام الداجن ، كثير في البلاد ، غير ان العراقيات منه ، تمتاز عن غيرها بصفات فاضلة ، ومن اقسامها ، ذوات الالوان الجميلة المتموجة ويسمونها (الخارشت) من ابيض يقق ، واحمر قان ، واصفر ناصع واسود غربيب ، وازرق شذري ، واكثر هذه ، بيض الرقاب والرؤوس ، وكلها مكتسية الارجل بريش ، من لون جسدها ، لا توجد في غير بغداد ، فيحافظ عليها **معتنقوها مغالين بها ، ولا يطيرونها خوفا عليها من الضياع !**

ومنها (البرص) وهي بيض مكتسية الارجل بريش كثيف طويل قد يبلغ ٣٠ سنتمترا فاذا طارت ظن الرائي ان لها اربعة اجنحة ! وهي من النوع القلاب .

ومنها (الزاجل) وهذا القسم رجله مجردة من الريش ، له لحمة حمراء على انفه وعيناه محاطتان بجفون عريضة حمر ، ومنقاره طويل قد يبلغ عشر سنتمترات ، وهو اكبر من سائر اصناف الحمام مرتين او ثلاثة . والمرغوب فيه ، منه ما كان شق منقاره الاسفل اطول من

انا اخوة في كل امر

الدكتور هادي الحمداني

الدكتور هادي الحمداني استاذ الادب العربي بكلية الاداب بجامعة بغداد شاعر له ديوان واذ انتدب للتدريس في جامعة قسنطينة بالجزائر ، اقام قسم اللغة العربية ببغداد حفلة توديـع القى فيها هــذه القصيـدة :

* * *

تريث . لا اريـد لك الفراقـا	**وقلبـي ان اطقت فمـا اطاقا**
وقد عــودت ان القاك صبحـا	**بمـا عودت من قلبـي اشتياقـا**
ونفتـرق النهـار وان ليـلا	**سيجمعنـا على عمـل رفاقـا**
وان كـان النهار سبيـل رزق	**فمـا لنيل نقطعه ارتزاقـا !**
ولولا ان ذلـك من يدينـا	**لمـا رغبـت اياديـنا الوثاقـا**

الاعلى بكثير ، فلا يستطيع ان يلتقط الحب ، الا من كأس معدة له او حفرة !

ومنها - اي الحمام - القلاب ، وهذا الصنف يغالي به العراقيون ، منه الابيض الفضي ، والازرق الصابوني والعنبري والبخاري والرمادي والسماوي والديري والزنجي ، واقبلها ما كان يرتجف اذا كان على الارض،وهو قسمان ، موصلي وبغدادي ، ويمتاز الموصلي عن البغدادي ، بتصفيق الجناحين اذا طار في البيت ، وانه اذا تقلب سمع له فرقعة شديدة ، وقد جلب منه كثير الى بغداد ، وضرب بالبغدادي ، حتى صار جل حمام بغداد ، القلاب ، يصفق مثله ! » ثم يبين لنا نتيجة ملاحظاته حول تقلب الحمام قائلا :

« لا يتقلب الحمام اول ما يطار وهو فرخ او كبير لم يطر ، قيل، بل يطار الفرخ عند تساوي قوادمه،فيميل في بعض الاونة وهو طائر ، الى الوراء كأنه يريد ان يتقلب فيقال له (يقعد) ويبقى كذلك مدة من شهر الى ستة اشهر فأكثر ، فاذا كان جادا اسرع والا ابطأ والمبطيء احمد !

ولا يخفى ان الفرخ يرمي كل عشرة ايام او اسبوعين ريشة من قوادمه العشر ، فاذا رمى الريشة الاولى بادئا بالقصار مما يلي الخوافي قيل (ذو ريشة) واذا رمى الثانية (ذو ريشتين) فثلاث ، الى العشر . اما الحد فيبدأ بالتقلب وهو ذو ريشة او ريشتين او ثلاث ، وهذا يفسد في الغالب فيقال (بزبز) اي، لا يقدر على الطيران لكثرة تقلبه ! والذي يبدأ بالتقلب في الرابعة والخامسة فما فوق لا يفسد غالبا » .

وهو يرى ان سر تقلب الحمام ، لم يكتشفه احد ، ويقول « ويظن البغداديون ان الحمام يأتي ذلك باختياره وبطرا منه وانبساطا ، وهو خطأ ، لانه يتعذب كثيرا من التقلب والتصعيد الفجائي ، على الصورة المرئية منه ، حتى ان بعضه قد يدمي اصل ريشه (القوادم) ويجري الدم منه ولا ينزل ، بل يجوع ويعطش ، ويحمي عليه الوقت فيلهث وهو طائر ولا ينزل بل يقع بعضه عند المساء على نخلة او محل اخر مرتفع فيبيت ليلته صائما ويطير في الصباح ويتقلب على سطح صاحبه الى المساء وعندئذ يقع ثانية على النخلة او المحل المرتفع وهو يكاد يموت جوعا وعطشا وقد يكون ذلك ثلاثة ايام في الشتاء » . .

وهكذا يمضي شاعرنا الكبير في بيان اسباب هذا التقلب ، مخالفا بها ما جاء في راي دارون ويفتخر ان « المقتطف » رجح تعليله في سبب هذا التقلب على تعليل العلامة دارون !

واني اذ اقدم هذه الخلاصة عن راي الزهاوي بالحمام عامة والقلاب خاصة ، ارجو من صديقنا الكاتب الفولكلوري الكبير الشيخ جلال الحنفي ان يبين لنا رأيه في ما ذهب اليه الزهاوي ، لانه خبير بذلك !

وبعد فارجو ان يكون قراء « الاديب » قد عرفوا شيئا جديدا عن هذا الشاعر الكبير الذي له في كل مقام مقال !

بغـداد **عبد الرزاق الهلالي**

ولولا ان حبـك وهـو قيـد ... لما كره الفؤاد بك انعتـاقـا
اري فيـك الحيـاة كما تـراءت ... محاسنهـا ازدهارا وائتلاقـا
وان كلـح الزمـان فكل بـدر ... يعاود بعـد طلعتـه المحاقـا
لعل فراقنـا قـدر علينـا ... حـداه زماننـا فينـا وساقا

ايـا صحبي ولي عذر اكيـد ... رأى حسن القبول بكـم ولاقى
فمـا فارقتكـم ابـدا بزهـد ... ولا غـازلت حبكـم نفاقـا
ولا ضـاق العراق عـلي يومـا ... فمـا زال العراق لنـا عراقـا
ولا ان شاقـني تطـواف دنيا ... وقـد طوفت عالمها انطلاقـا
ومـا اشكـو من الايـام ضيقا ... وان بخـل الزمـان بها وضاقا
ولكنـي ارى مليـون روح ... ترفرف حـول عالمنا خفاقـا
وابعد من خـلال الافـق شمسا ... يلونهـا النضال بمـا اراقـا
واوراسـا تكللها الضحايـا ... وقد ضفـرت جماجمهن طاقـا
ومـا جفـت على الصحراء ارض ... تساقـت من دمـاء ما تسـاقى
وانبت رملهـا جيلا جديـدا ... يحـاول في عروبتـه لحـاقـا
فمـن ذا يستحـث له ركـابا ... اذا حجر التفرنـس منه عـاقا
ولم ننهـض له لنكـون كفـا ... ولـم نسرع لـه لنكـون ساقا
فان قد فاتـني شرف الاضاحي ... فعلـي استطيـع له العنـاقـا

احس الارض ارض العرب ارضي ... وقد ضرب الخليـج لهـا نطاقـا
واني لسـت مغتربـا اليهـا ... ولـم اشعـر بمنتقلي افـتراقا
وان القوم من وطـني واهـلي ... ولا معـنى اذا اختلفوا اشتقاقا
ولا معـنى اذا اختلفوا طبـاعا ... ولا معـنى اذا اختلفوا خـلاقا
وانا اخـوة في كل امـر ... وان بذر الدعـاة بنا شقاقـا
تفيض الارض فينـا كـل خـير ... وقـد مـدت على الدنيـا رواقا
ونحـن حماتهـا من كل شر ... اراد الطامعـون بـه انزلاقـا
بايدينـا فتيـل الزيـت نـارا ... اذا شـاؤوا مع الزيت احتراقا

ارى بيتـي ولمـا شد رحـلي ... وحث ركابـه مني النيـاقـا
يمـد الليـل ظلمتـه عليـه ... ويجثـو اذ يطيل بـه الفراقـا
ارى عينـا تفيض بهـا دمـوع ... (فصارت كلها للدمـع مـاقا)
واطفـالا اذا ذكـروا اباهم ... تملى الشـوق افئـدة رقاقـا
تمنـوا لو يكـون الليل ركبـا ... يحـاول للجزائر بـي لحـاقـا
ومـا حالـي هنـاك اذا توالت ... ليالي البعد بعدهم التحاقـا
ومر الليـل تعقبـه ليـال ... فاعدو والزمـان بهـا سباقا
وهيـج كامـن الاشجان ذكـر ... وحـن اليهم قلبـي وتاقا
يحس الان بالبلـوى التياعا ... فكيـف غدا هنـاك اذا افـاقا
لقـد ذقت البعـاد بهم زمانـا ... فمـا مر كبعدهم مـذاقـا

بغداد ... هادي الحمداني



الدكتور محمد رجب البيومي

لصوص غير شرفاء

بقلم الدكتور محمد رجب البيومي

* * *

لنا زميل فاضل يعمل معنا بكلية اللغة العربية بالرياض ، هو الاستاذ السيد عبد الواحد وقد جاءني ذات يوم بكتاب يحمل عنوان « سيكولوجية الشخصية المصرية » للدكتور ملاك جرجس فدلني على فصل منه يحتل قرابة ستين صفحة من صفحاته قائلا انه كاتب هذا الفصل من الفه الى يائه ولكن المؤلف الفاضل نشره باجمعه ثم تعطف فذكر في هامش الصفحة الاولى من الفصل ما نصه «قام بجمع المادة العلمية الاستاذ السيد عبدالواحد» وموضع الاعتراض ان الفصل بمعناه ومبناه من كلام الاستاذ عبد الواحد ! فكيف يقول الدكتور ملاك انه قام بجمع المادة العلمية فحسب !

والزميل الاستاذ سيد رجل طيب حقا ، لانه لا يعلم ان هناك من يأخذ الفصل الطويل برمته ثم ينشره منسوبا لنفسه ، وقد تلطف الدكتور المؤلف فأشار الى انه صاحب المادة العلمية فهو اهون جرما ممن يأخذ ولا يشير ! والمسألة اليوم عند اكثر المؤلفين لا تخضع الى ضمير ، فليرح نفسه من الغضب فلن يفيد .

يذكرني غضب الاستاذ السيد عبد الواحد بغضب صديقي واستاذي الاديب الكبير محمد سعيد العامودي رائد الادب السعودي المعاصر ، اذ شفعت لديه ذات مرة كي ينشر ابحاثا قانونية لانسان يحمل اجازة علمية في موضوعه ، وكان القانوني البحاثة قد سرق ابحاث سواه وبعث بها للاستاذ العامودي ممهورة بتوقيعه الكريم ، ومن سوء الحظ ان العامودي قد قرأ هذه الابحاث من قبل ، والم بالجريمة فراعته وكدرته ، وكتب الي خطابا يستهول الامر ويستعظم ، اما انا فلم ادهش ، اذ ادركت من مآسي هذه السرقات ما ازال عن نفسي كل دهش واستنكار ! وقد قلت يومها للاستاذ العامودي كلاما اعيده اليوم للاستاذ السيد عبد الواحد ، ولا ادري لماذا احرص على تقديمه لقارىء مجلة « الاديب » الكي يتفكه ، ام لكي يتفقه ، اذ للمسألة وجهان لا وجه .

وسيدهش قارىء «الاديب» حين يرى ان السرقات الادبية لا ينهض بها الناشئة من صبية المدارس ولا المراهقون من طلاب الكليات وحدهم ، بل ان اغراءها ليزداد خطورة حين يقع في شركه اساتذة الجامعات انفسهم ! وقد كنا نرى منهم من يخرج في العام الواحد اكثر من كتاب حافل ، فنعجب كيف اتسعت شهور السنة الدراسية لهذا الفيض الدافق ثم يقع في الروع ان تلاميذهم في قسم الدراسات العليا يقدمون الابحاث التي حدد الاستاذ رؤوس موضوعاتها وفق خطة تقوم في ذهنه فاذا وقعت تحت يديه اخذت ثوبها النهائي ممهورة بتوقيعه ! كان ذلك مما يقع في الروع دون دليل حتى ارتفعت الصرخات من كل مكان تدين اساتذة العلم ، ولو كان لدي ارشيف يجمع كل ما قراته في هذا الصدد لاتحفت القارىء بما يلذ ، ولكني اتذكر الان عددين متتاليين من مجلة «الرسالة» ذكر الدكتور جمال الدين الشيال في اولهما الذي يحمل رقم ٨٤٩ سنة ١٩٤٩م انه اعار احد زملائه الدكاترة رسالته الجامعية المخطوطة ، فنقل اكثرها دون ان يشير اليه ، قال الدكتور الشيال بعد ان بسط حادثة السطو الجرىء «ومن هنا نرى ان الدكتور قد سطا على الرسالة منهجا وموضوعا وانت اذا قارنت بعد ذلك بينها وبين فصله لتبين لك في وضوح تام انه لم يسط على المنهج والافكار فقط ، وانما قد سطا على العبارات والالفاظ كذلك فنحو ٨٠ بالمائة من عباراته هي عباراتي بالفاظها وحروفها ، ومع ذلك لم يشر حضرته بحرف واحد لا في الهوامش ولا في قوائم المراجع على كثرتها البالغة الي او الى رسالتي » .

هذا ما ذكره الدكتور الشيال رحمه الله في العدد (٨٤٩) من مجلة «الرسالة» ، ثم تلاه العدد(٨٥٠) فطلع على القراء بتعليق اليم تحت عنوان «الامانة الجامعية» يقول فيه كاتبه الصريح :

«لقد عادت بي الذكريات الى ايام تلمذتي بالجامعة ، فتذكرت ذلك الاستاذ المعمم وقد جاءنا يرفل في جبته وقفطانه حتى اذا عدنا من عطلة العيد وجدناه قد ارتدى زي المطربشين وان كانت ملامحه وسحنته تدل على انه من الشيوخ ، ذكرت ذلك الشيخ وهو يطلب منا ابحاثا علمية ليقراها ويصححها ثم يعيدها الينا ، فكنا نسعى الى المكتبات ونبحث في امهات الكتب حتى نفوز برضا الاستاذ عن البحث

الذي نقدمه اليه ، ولكن الاستاذ ــ حفظه الله ــ بخل علينا بأبحاثنا ، ولم يشأ ان يردها الينا ، ولم نلبث ان رأينا هذه الابحاث قد ضمت بعضها الى بعض ، وقسمت الى ابواب وفصول ، وأصبحت كتابا يحمل اسم الاستاذ العزيز ! وان كنا نحمد له أنه غير أسلوب هذه الابحاث لتكون بأسلوب واحد ، اما الاراء فقد بقيت كما هي اراؤنا ، والنصوص التي استندنا اليها في أبحاثنا بمراجعها لم يتغير شيء منها.

وهذه زميلة تتقدم برسالة ماجستير ، وتعطي بحثها لاستاذها المشرف ، ومكث البحث زهاء ستة اشهر عند الاستاذ، واخيرا آخذته منه، فاذا به يفاجئنا بان اراءهاتتفق تمام الاتفاق مع ارائه ، فلما سألته اين نشرت اراؤه هذه ؟ اجاب باسما : ان كتابي سيظهر هذا الاسبوع ، وفيه هذه الاراء ! فأجابته ساخرة : الحمد لله ، لقد اطلعت على ارائي ولم اطلع على ارائك !

ولا ينس الزميل الصديق الدكتور الشيال قصة هذه الكتب التي يوضع عليها اسم استاذ من الاساتذة ومعه اسم تلميذ من تلاميذه ، على انهما اشتركا في تأليف هذا الكتاب او ذاك ، ونحن نعلم من الف الكتاب ، ومن الذي استفاد ! » .

هذا بعض ما قيل عن الجامعة ، واقول قيل لاني لم اقل ، بل نقلت عمن قال ، فلاترك الجامعة اذن لاتحدث عمن ؟ أأقول عما شهدت بنفسي ؟ ثم عما قرات لغيري في القديم والحديث ، واذا لم يتحدث الكاتب عما شهد ، وعما قرأ ، فهل يختلق ؟

اما ما شهدت بنفسي فهذا بعضه لا جميعه :

كنت في عهد الطلب حريصا على أن اجمع ما انظم من الشعر في دفتر خاص ، وكان الزهو الساذج يدفعني الى ان اعرضه على الزملاء كحلية ذهبية ذات شأن، وقد استعاره مني زميل يشاركني الهواية فسررت اذ كنت ممن يستعار انتاجهم ويتداول بين الزملاء ، وكان بين قصائده منظومة تحت عنوان «فقر وعفاف» ومطلعها كما اتذكر :

به من هواها حسرة تتجدد — وآهة وجد ما تزال تردد
لهيب بخديها احال حياته — جحيما تلظى فيه بل هي انكد
ولحظة عين لم تدم غير لحظة — على انه منها يقوم ويقعد

الى ما يبلغ خمسين بيتا من هذا النمط ،ولم يكد يمر اسبوعان حتى رايتني اجد مجلة اسبوعية تنشر القصيدة باكملها وقد ذيلت بأمضاء الزميل الكريم ، فهاج هائجي وخيل الي اني فقدت ثروة لا تقدر بالالاف ، وهرعت الى السارق فلقيني ضاحكا وهو يمد يده الى دفتر يجمع شعره ثم يقول تفضل فاختر منه أعظم قصيدة لتنشرها باسمك، فانا انت وانت انا ، ولو علم القارىء ان الزميل السارق لا يكاديقيم وزن بيت واحد ، فضلا عن اجادة معناه ، لادرك ثورة غيظي !

هذه واحدة ، اما الثانية فقد طلب مني صديق عزيز ان اجمع له عدة قصائد تصف القمر في مختلف العصور ثم اشفع كل قصيدة بشرح ناقد يوافق طلاب الدراسة الثانوية وانهي المختارات بتحليل ادبي مقارن ، وكانت للرجل مكانة لدي فاستجبت سريعا لما طلب وفي ظني انه سيستعين بما اكتب في ميدان التدريس وحده ، فلم ابخل عليه بما تضمه عشرون صفحة من الورق المدرسي . ومرت مدة فقرات كتابا لاحد المشهورين من المفتشين يضم كل ما كتبت عن القمر مع فصول مماثلة عن البحر والليل والطير والحيوان ! فكدت اذهل ، واسرعت الى صاحبي فأخبرني انه كان يريد النقل من بلدة الى بلدة ، والسيد المفتش صاحب الراي في ذلك وقد سأله ان يكتب فلم يجد بدأ من الاستعانة بي ! كما ذكر ان المفتش الفاضل كلف لفيفا من الزملاء فكتبوا فصول الكتاب استجابة لمطامع خاصة ، والكتاب ينطق بالتلفيق لان لكل فصل طريقته الخاصة في الشرح والتعليق والاستنتاج ! فهو نتاج اقلام تختلف ولا تأتلف ! ولكن اين من يحاسب ؟ .

والثالثة اذكرها ايضا ، فقد زرت ذات مساء صديقا فاضلا كان يزعجني دائما بعرض مسوداته علي قبل ان تذاع فاذا حاولت الاعتذار حاصرني بما يرهق ، فصادف ان وجدت على مكتبه احدى المسودات فعلمت انها ستعرض لا محالة ووقع في روعي ان الحاحه علي بالزيارة من اجلها ، وكان قد غادرني لحظات، فلم اجد حرجا في ان ابدأ بالقراءة فما ان رجع ووجد الورق بين يدي حتى عجل بخطفه في غضب وكاني اقرأ خطابا خاصا لا حديثا اذاعيا سيقرأ على الالاف ! ودهشت وطلبت التفسير لفعلته ،فاخذ يتعلل بما يضحك ، فخرجت وفي نيتي ان اقاطع مسوداته الى الابد ، ولكني استمع بعد اسبوع الى حديث بالاذاعة المصرية يلقيه متحدث كبير فاذا الحديث مسودة الصديق ! واذا الرجل الكبير قد كلفه فأطاع ، وخاف ان افضح السر ! وقد تلاقينا فأخذ يعتذر من جراته علي وهو لا محالة معذور .

فاذا تركت ما شهدت بنفسي الى ما قرات في الحديث فسأختار بعض ما كتبه المغفور له الاستاذ محمد سعيد العريان بمجلة «الثقافة» العدد ٢٢٢ الصادر بتاريخ ٣٠ مارس ١٩٤٣ ، بتوقيع (قاف) الذي كان يعرفه به قراؤه حينئذ ، والاستاذ العريان اديب كبير كتب سيرة استاذه الرافعي دون أن يجد من يكتب سيرته بعد الرحيل ، وفي التذكير به الان بتنبيه لاصدقائه وعارفيه ان يقوموا بواجب الوفاء نحوه كما ادى واجبه نحو الرافعي رحمهما الله! وقد تحدث الاستاذ العريان عن سرقات كثيرة اكتفي منها بهذه الثلاث كماخطها الاديب الفقيد حين قال :

١ ــ هذا قاض كان يشغل منصبا دبلوماسيا كبيرا تهيأت له في بعض غربته فرصة ، فحصل على ترجمة انجليزية لرسالة بالاردية في اسرار الحج، فحملها الى مصر واخرجها كتابا باسمه بعد أن اعانه على ادائها بالعربية اديب كبير من ادبائنا ، وما يزال هذا الكتاب منسوبا الى ناشره وليس له فيه الفكرة ولا الترجمة ولا

ميلاد

في بـــلادي
ولد الحنان طفلا في مغاره
من بـــلادي
اشرق النور على الاكوان
قـدسي السنا .. باهي المناره
في بلادي
غنت الاملاك بشرى وسلام
ومضى المشعل مرفوعا الى
كل الانـــام
ايه يا بشرى بميلاد مجيد
اي متى يا بيت لحم
اي متى يا قدسنا يعلو النشيد
تصدح الاملاك فيك .. من جديد

الرابية ـ لبنان — اسمى طوبي

الاداء وليس الا ان حمله من جدة الى القاهرة او حملته معه الباخرة !

٢ ـ وهذا كتاب مدرسي الفه معلم مغمور لا يكاد يعرفه غير تلاميذه وانه ليرجو به النفع العام ، او الانتفاع المادي ، ولكنه يخشى ان يجهل الناس قدره فيكسد كتابه في السوق ويخسر جهده وماله ، فانه يسعى الى فلان وفلان من اصحاب الجاه العلمي في هذا الباب ، او الجاه المادي في هذه السوق فيطلب اليه ان يراجع كتابه فاذا راجعه فقد صار عليـه الحق في ان تكون شريكـه في التاليف والنفع المادي ، وهذا واحد او لعله كثير .

٣ ـ وهذا نـاشر خبير بالسوق قد خطر لـه ان ينشر مخطوطا قديما قد تخرق وتحرف وبلى بالزمـن ، وابتلى بالنساخ ، فانه ليستاجر بعض المرتزقة مـن ادباء السوق ، يصححونه ويحققونه ، ويرمون ما بلي منه ،ولهم على ذلك من الاجر المادي بمقدار العمل ،جملة بسعر الجزء، او تفصيلا بسعر الصفحة ككل صانع في صنعتـه ، فاذا فرغوا من عملهم ، وخلصوا باجرتهم ، حمل الناشر الكتاب صحيحا محققا سليما من التمزيق والبلى وسؤ النسخ ، الى كبير من اهل هذا الفن يسأله ان يتوجه باسمه ،ويلحقه بنسبه ،ثم يظهر الكتاب في السوق بتحقيق الاديب الكبير»

هذا بعض ما كتب العريان نجتازه مسرعين الى مـا قبله ، لنعلن ان داء السرقات الادبية عتيق تحدث عنـه ارسطو وتابعه نقاد الشرق والغرب ، حتى افرد له الكاتبون مجلدات ذات ابواب وفصول وقد كنـا نضحك حين نجد امثال ابن الاثير يقسمون السرقـات الشعريـة الى سلخ ومسخ ونسخ لان سرقـة البيت الواحد والمعنـى الواحد امر هين بازاء ما نحن فيه ، فنحن امام سرقات تامة لكتب ومقالات لا لمقاطع وابيات ،وما زالت كتب القدماء والمحدثين تتحدث عـن سرقات الفرزدق وابي تمام والبحتري فترد بعضها الى توارد الخواطر ووقوع الحافر على الحافر ، اما الذي يحتاج الى اهتمام خاص فهو سرقة الكتب الكاملة ، وقد لحظ احد الادباء بمجلة «الثقافة» العدد (٣١٩) سنـة ١٩٤٥ ان كتاب « الاحكام السلطانية »لابي يعلى الحنبلي هو نفسه كتاب « الاحكام السلطانية » للامام الماوردي وتساءل اي الكاتبين اسبق ، فجاء الرد بالعدد(٣٢٥) للاستاذ محمد عنان كاشفا عن عدة مآس لا مأساة واحدة اذ نقل ما سطره السخاوي عن شيخه الحافظ بن حجر ، حين قـال تحت عنوان « فصل فيمن اخذ تصنيف غيره فادعاه لنفسه » :

«منـه البحر للروياني اخذه مـن الحاوي للماوردي والاحكام السلطانية لابي يعلى اخذها مـن كتاب الماوردي لكن بناها على مذهب احمد ، وشرح السنة للبغوي مستمد من شرحي الخطابي علي البخاري وابي داود ، والكلام على تراجم البخاري للبدر بن جماعة اخذه من علوم الحديث لابن الصلاح بحروفه وزاد فيه كثيرا ، وشرح البخاري لشيخنا ابن الملقن جمع النصف الاول منه من عدة شروح ، وامـا النصف الثاني فلم يتجاوز فيه النقل من شرحي ابن بطال وابن التين واما طبقات الشافعية لابن الملقن فقد جمع فيه بين الاسنوي والتاج السبكي بحيث لـم يزد عليهما سوى ترجمـة واحدة ، وكذا قرات بخطه على الاجابة لايراد مـا استدركته عائشة على الصحابة مانصه «اصل هذا التصنيف للاستاذ الجليل ابي منصور عبد المحسن بن علي بن طـاهر البغدادي الفقيه المحدث الشهير ، رايته في مجلدة لطيفة وجملة ما فيه من الاحاديث خمسة وعشرون حديثا ... الى ان قال : ولمصنف الاجابة حسن الترتيب والزيادات البينة ، والعزو الى التصانيف الكبار ، والاول على عادة من تقدم يقتصر على سوق الاحاديث الى شيوخة» هـ.

على اننا نعترف انصافا للقدماء ـ ان طريقة التاليف عند اكثرهم كانت في مجموعها شرحا اواختصارا وبخاصة في كتب الفروع،حتى عرف مؤلفون بالاختصار فقط دون تجدد او شرح ومنهم ابن بشكوال الاندلسي، فقد بلغ من اشتهاره في التلخيص والاختصار ان احد الظرفاء شاهد رجلا طويل القامة فقال متندرا: لو رآه ابن بشكوال لاختصره!ومن المفارقات ان الاصول التي تعب فيها مؤلفوها تنسى وتهمل على حين تذكر الملخصات المبتورة وتشتهر !! وهي الحظوظ .

لقد اكثرت مـن النقل دون قصد ، حتـى لا ادري اكتب مقالا ام انشر احصاء ولكني وجدت المقـام يتطلب التركيز ويضيق عن التحليل ، بل اكاد اجزم ان هول هذه السرقات يغني عن كل تحليل .

الرياض ـ كلية اللغة العربية — محمد رجب البيومي



الدكتور عبد السلام العجيلي



تكريم الشاعر الفراتي

بقلم عبد السلام العجيلي

* * *

اقام اتحاد الكتاب العرب في الجمهورية العربية السورية في مساء ٥ تشرين الثاني ١٩٧٤ احتفالا تكريميا للشاعر محمد الفراتي في مدينة دير الزور ، تعاقب فيه الخطباء في الحديث عن هذا الشاعر الكبير في سنه وفي انتاجه الشعري نظما وترجمة والذي ابعده تواضعه وايثاره العمل الصامت عن صخب الشهرة واضوائها الساطعة . وفي هذا الاحتفال القى الدكتور عبد السلام العجيلي الكلمة التالية :

بين اوراقي ورقة عثرت عليها منذ سنين فعجبت كيف سها عنها تدقيقي فبقيت في حوزتي . فهي ليست ورقة شخصية بل هي رسالة رسمية موجهة الي بصفتي وزير اعلام في عام ٩٦٢ ، وكان علي ان اردها الى سجلات وزارة الاعلام آن تلقيها ، لان هناك مكانها . ومع ذلك فاني حين عثرت على هذه الورقة مؤخرا ، وبعد ان اعدت قراءتها ، ابحت لنفسي ان اظل محتفظا بها . في سجلات وزارة الاعلام ستكون مجرد قصاصة في اكوام محتويات الارشيف ، أما بين اوراقي فسيظل لها معنى ذو قيمة خاصة . ان مرسل تلك الرسالة ، سعادة السفير محمود ملايري سفير ايران في دمشق عام ١٩٦٢ ، قد تخطى في ارسالها الي زميلي وزير الثقافة والارشاد القومي انذاك وخصني شخصيا بها لسببين على الاقل : الاول انها تتعلق بشأن من الشؤون التي يعرف الناس ان اهتمامي بها كبير ، اعني بها شؤون الادب والثقافة الرفيعة ، والسبب الاخر انها تتحدث عن جهد انسان مبدع تربطني به فوق رابطة الاهتمام بالادب والثقافة الرفيعة ، رابطة الانتماء الى هذا الوادي الذي نعيش فيه ، وادي الفرات ، وله علي وعلى غيري من ابناء هذا الوادي المهتمين بالادب والمنتجين فيه ، فضل الاولية والسبق ، اذا لم يكن فضل الاستذة والتخريج اعني بهذا الانسان المبدع الشاعر الكبير المحتفى به في هذه الامسية ، استاذنا محمد الفراتي .

تلك الرسالة التي اروي لكم امرها في هذا المقام كان بعث بها الي في تلك الايام سفير ايران في دمشق حين ظهرت في مطبوعات وزارة الثقافة والارشاد القومي ترجمة الاستاذ الفراتي لديوان سعدي الشيرازي «كلستان» روضة الورد . عن هذه الترجمة قال السفير ملايري فيما كتبه الي : «اطلعت عليه واعجبت ايما اعجاب بالمجهود الجليل الذي قام به الاستاذ الفراتي في ترجمة الكتاب هذه الترجمة الرائعة الامينة التي تدل دلالة قاطعة على طول باعه في الادب الفارسي وتمكنه التام من اللغة الفارسية ، بل مكانته من اللغة العربية كشاعر مبدع وكاتب ضليع ...» . هكذا قال السفير . واذا كانت كلمات الثناء والاعجاب هذه لا تعبر الا عن بعض ما هو متفق عليه مما للاستاذ الفراتي من مزايا بين عارفيه وقرائه ، فان ورودها بهذه الطريقة الرسمية ، في رسالة ديوانية من سفير الى وزير ، كان يحمل معنى اريد به ان يتجاوز التقريظ الادبي ليخفي صفة اساسية ، استطيع ان اسميها صفة دولية ، على الاثر الفني الذي دارت عليه المراسلة . ففي تلك الايام التي كان الجفاء وسوء الظن يسود فيها علاقاتنا ببلاد فارس ، كان واضحا ان سفير تلك البلاد تعمد ان يرى في عمل الاستاذ الفراتي وفي تبني وزارة الثقافة والارشاد القومي له اول الغيث في توثيق العلاقات الثقافية والروابط الاخوية بين سورية وايران ، وقد قال ذلك في رسالته ، كما تعمد ان يشير الى علمه بأن وزارة الثقافة والارشاد القومي جادة في طبع مختارات من روائع الشعر الفارسي لجلال الدين الرومي وحافظ وسعدي الشيرازيين ، مستبشرا بأن هذه الجهود سيكون لها اعمق الاثر في تشديد اواصر الود والاخاء بين البلدين المشتركين بعلاقات عديدة ، قديمة وثمينة .

وفي الواقع لقد طبعت وزارة الثقافة والارشاد القومي كتاب روائع من الشعر الفارسي في عام ١٩٦٣ ، والحقته في عام ١٩٦٨ بطباعة «بستان» سعدي الشيرازي ، وكلاها من ترجمة الاستاذ الفراتي . ولست اشك بأن السياسة ، كمناورات ومداورات وتجاذب منافع وتضارب مصالح بين حكام وحكومات ، كانت ابعد ما تكون عن ضمير استاذنا حين قام بجهده الضخم في تعريف العرب بخير ما انتجه كبار شعراء الفرس في العشق والغزل الصوفي وفي القصص

البديع المحكم . ولكن اي عمل اقدر على تقريب القلوب بين ابناء الشعوب او على ازالة الاحن والتخفيف من الاحقاد من تبادل ثمرات الافكار وتناقل روائع النتائج الفني بين المتجاهلين او المتجافين ؟لذا فلا بد لنا من القول ان الاستاذ الفراتي ، شاء ام ابى قد حقق ما تاق اليه واستبشر به سفير الدولة التي نظم جلال الدين الرومي وسعدى الشيرازي ولسان الغيب حافظ الشيرازي روائعهم بلغتها. وكان بذلك رائدا سباقا ، ومؤديا مهمة تقاعست الهمم طويلا عن ادائها . فما اغرب ان يكون للادب الفارسي هذا التراث الغني ، وان يرتبط هذا التراث بالتاريخ الاسلامي وبادب العربي اسطورة وقصة وشعرا ، ثم لا نعرف عنه شيئا ! صحيح اننا نعرف عمر الخيام منذ زمن طويل ،غير ان معرفتنا تلك كانت معرفة هجينة ، تسللت الينا من اعجاب الغربيين برباعيات الخيام حين نظمها فيتزجيرالد في شعر انكليزي خلاب . اما العظام من شعراء الفرس فقد ظلوا مجهولين الا من لمع لا تنقع غلة ، حتى جاءت الترجمات الفراتية التي نافست الاصول ببراعة الاداء وجزالة اللفظ وموسيقية الجرس .

نعم لا شك في ان السياسة بمناوراتها ومداوراتها وتجاذب المنافع وتضارب المصالح فيها ، كانت بعيدة عن ضمير شاعرنا الفراتي وهو يقدم لادب امته هذه الخدمة الكبيرة في ترجمة روائع شعر فارس الى لغة العرب ، مثلما كانت بعيدة عنه في نظمه لشعره القومي والانساني وفي نضاله كمثقف ومثقف وكانسان عربي واع لتخلف امته وعوز بيئته . كانت بعيدة عن ضميره لاخلاص هذا الضمير لرسالته الادبية التي هي اقوى الدوافع في انتاجه ، ولصفات اخرى نعرفها عنه وتزيدنا بها معرفة الايام الطوال التي تمر على حسه الشاعري وادراكه الذكي وسليقته البدوية مرور النسائم على خضرة المروج ، اعني بها صفات الجد الدائب والتواضع المفرط . اليس في حق من كان في سن الاستاذ الفراتي ، بعد ان طوف ما طوف وانتج ما انتج ان يلقي اليراع من يده ويخلد الى الراحة متمليا من ماضيه وذكرياته ؟ أليس من حقه بعد ان قام بهذه الريادة وذلك السبق ان يدل بهما ويمن ، وان يستثير الاحاديث حولهما ويستأدي ثمنهما شهرة وبعد صيت ان لم يستاد مغانم مادية ؟ لقد ظل الاستاذ الفراتي ، كما تعرفونه ، بعيدا عن هذا وذاك . ونقل الي منذ اسابيع ، يوم دار الكلام على القيام باجتماعنا هذا ، انه كان في طريقه الى حلب ليسال بعض اخوانه من اعضاء اتحاد الكتاب ان يعفوا انفسهم ، ويعفوه ، من جهد هذا الحفل الذي نكرم فيه انفسنا قبل تكريمه هو فذكرت حينئذ ما قاله ديوجين للاسكندر المكدوني حين وقف هذا في صباح يوم شات على آراء الفيلسوف يسأله اذا كانت له حاجة فيقضيها. ديوجين الذي لم يكن يملك غير برميل ينام فيه ولايحتاج الى غير ان يدفأ باشعة الشمس ليجيل فيه خواطره وافكاره ، ماذا كان يريد من الاسكندر الكبير وسلطانه ؟ لقد رفع راسه متطلعا الى العاهل الذي حجب عنه بوقفته نور الشمس ودفأها وقال : حاجتي ؟ حاجتي ان تحيد لي عن شمسي !

حين قلت اننا ، في هذا الحفل الذي اقيم لتكريم الاستاذ محمد الفراتي اننا نكرم انفسنا قبل تكريمنا المحتفى به ، فانا اعني بانفسنا الادباء بصورة عامة واعني بصورة خاصة انفسنا نحن المهتمين بالادب والفكر والثقافة في وادي الفرات والمنتجين فيها. لاتحاد كتاب العرب شكرنا على قيامه بهذه المبادرة التي تجمعنا فيها ، في حاضرة هذا الوادي، حول من هو بشاعريته ودأبه ونتاجه الاصيل ، قبله بتعداد سني عمره ، عميد المبدعين ادبا فيه . انها مناسبة اتيح لنا بها ان نعرض انفسنا على هذا العميد ونقول له : انت الذي حييت بشعرك منذ عقود من السنين تخرج اول طبيب من هذه الديار واول محام منها ـ طبيب واحد ، لا في مدينة دير الزور وحدها ، بل في كل اللواء الذي كان يضم ما اصبح اليوم ثلاث محافظات هي دير الزور والحسكة والرقة ـ لعلك قرت عينك اليوم بمن نهل من ينابيع الثقافة والعلم من ابناء واديك ! لو قلنا هذا للاستاذ الفراتي لاجابنا بلا شك انه راض عما يراه . غير ان سيرة الاستاذ الفراتي في حياته الشخصية ستقول لنا شيئا آخر قد لا يقوله لنا لسانه . ستقول لنا ان اكتساب الثقافة والعلم ليس غاية بذاته الغاية ان تعملوا بالثقافة والعلم لخير واديكم وخير اهله. واديكم الذي لا يزال معدودا واهله بين المتخلفين ، في حين ان فيه يبنى مستقبل بلادكم ويخطط فيه لتقدمها وثرائها وقوتها ...

تقول لنا سيرة الاستاذ الفراتي هذا وهي تلقي علينا دروسها الذاتية في العمل المتواصل ، الهادىء المتواضع، المترفع عن الصغائر ، المبدع ادبا قيما في الشعر والترجمة وفي تمجيد الامة والدعوة الى الاصلاح . علينا اذن ، نحن الفراتيين مثقفين وجمهورا كادحا طامحا الى التنعم بالثقافة، من حاضري هذا الحفل وسامعيه وسامعين به ، ان نشكر لاتحاد الكتاب العرب اتاحته لنا هذه الفرصة التي نكرم فيها انفسنا بتكريم شاعر وادينا والتي نتمثل فيها دروس سيرته المكافحة وابداعاته الشعرية . ونحن واثقون بان التكريم الصحيح الذي يعتد به محمد الفراتي وتقر به عينه هو ان يرى آماله في اهله الاقربين وفي امته الكبيرة محققة، ودروسه فيهم وفيها مسموعة ، مقتدى بها ومستفادا منها .

والسلام عليكم ورحمة الله .

الرقة ـ سورية

عبد السلام العجيلي

لا اصدق

اقلقتني نكبة حزيران ١٩٦٧ ، وجعلت ليالي كلها ارقا ، ولكن الحاسة السادسة ارتني نصر رمضان بشكل غامض ، فكانت القصيدة المتفائلة الاتية :

انا لا اصدق اننا امس انهزمنا ، لا اصدق
قول ان استمعت اليه الروح يوما ، كاد يزهق
ويجمد الانفاس في صدري ، وفي ليلي يؤرق
ويذرف العبرات حتى روضة الامال يغرق
لا ، ايها التاريخ ٠ لم نهزم ، فحاذر ان تلفق
ففخارنا قد كاد في صفحاتك الغراء يورق
انا لا اصدق اننا امس انهزمنا ، لا اصدق
لا اصدق

نحن الالى سادوا الدنى بفتوحهم شرقا وغربا
واستسلم الروم القساور في الوغى خوفا ورعبا
والفرس فروا كالارانب حين شن العرب حربا
لم تحمهم افيالهم !! بل طعنا وضربا
نكصت على اعقابها تتلمس الطرقات نهبا
واليوم أصبحت اليهود جيوش امتنا تمزق
انا لا اصدق ما رووا عن اسد قومي ، لا اصدق
لا اصدق

اين القلوب جريئة في العرب تضطرم اتقادا
وتخوض نيران المعارك في فلسطين جهادا
وتخط بالدم قانيا نصرا تعيد به البلادا
وتسير اعلام العروبة فوق موطننا تهادى
من بعد ما تعتز كل قلوب امتنا اتحادا
ما بالهم زعموا الوغى لخميسنا الجرار ترهق
انا لا اصدق زعمهم وحياة قومي ، لا أصدق
لا اصدق

انا خلقنا لاكتساح عداتنا يوم الصدام
بعزيمة جبارة تقوى على سحق الحمام
فالحرب قوت نفوسنا وهوى الاماني الجسام
وقلوبنا قدت من الباس الفدائي الهمام
املت على التاريخ انباء المغاوير العظام
ومضى يغرب مجدنا حينا ، واحيانا يشرق
من ذا يصدق اننا لم ننتصر ؟ انا لا اصدق
لن اصدق لن اصدق

محمد العدناني



بقلم جمعه محمد جمعه



يوم افاق شعبان من مرضه قرر العودة الى القرية لاستعادة حنان وحب اسرته .. لا شك انهم غاضبون عليه .. يصبون لعناتهم على تصرفاته الحمقاء .. خاصة وانه ترك البيت اخر مرة وهم جميعا نيام .. شعر في حجرته بوحدة قاتلة ، وفي نفسه بخواء وضياع لم يشعر بهما قط .. وانحى باللائمة على ظنونه الحمقاء السيئة .. تساءل بينه وبين نفسه لماذا هرب من ليلى؟ ولماذا هرب من اسرته وعاد الى حجرته ؟. لم تعد المدينة تشده بعد رحيل حياة النفوس .. لم تعد الحياة فيها تسيطر على لبه ... وتسلل الحنين الى قلبه للريف ، ولاهل الريف .. للارض ، والسماء ، والحقول .. للترعة والساقية والطنبور .. للحياة الهادئة ... للناس الطيبين ، وكان ان قدم الى الشركة طلبا للعمل في فرعها بطنطا ..

جاءه سريعا يوم الخميس ... ساعات قلائل ويتحرر من العبء الضخم الملقى على عاتقه .. ساعات تمر ببطء سلحفاة عمرها الاف السنين .. اخذ شعبان يقطع الوقت بسيف الحركة الدائبة النشطة .. يتجول ويباشر العمل في اعداد مسرح الحفل .. يدخل الى الدار ويلقى بتعليماته وارشاداته الى الطهاة الذين جاؤوا خصيصا من اجله .. يلقى امه ويحضن راحتيها ويقبل كفيها في امتنان وشكر .. فهي اختارت له ليلى ووفقت في اختيارها .. تمده بسمتها بالشجاعة والتفاؤل وكانها تقول له : « الدنيا باسرها تحتضن افراحك يا ولدي » .. يخرج من الدار فيلقي بنظراته التحيات على اهل قريته وهم يسألونه في لهفة عن اصدقائه وزملائه الذين دعاهم من القاهرة لحضور حفل عقد القران ، وخاصة صبحي الذي يعرفون صداقته الحميمة لشعبان .

كانت القرية كلها تحب الحاج ابراهيم ، وتحب ابنه الاستاذ شعبان ، منذ اكثر من شهر والقرية تعد نفسها للاحتفال بزواجه .. فلا بد ان تجامل الحاج ابراهيم المجاملة اللائقة به ، وهو الذي اغرق القرية كلها بجمائله .. شاركها بروحه وقلبه وماله في كل ما يحدث لاهلها من افراح واحزان .

التاج المرصع باللمبات الملونة فوق « الكوشة » يضيء ويطفيء ... الكهربائي يجرب مكبر الصوت ... الفراش يعد مسرح الفرقة الموسيقية والراقصات .. ام شعبان تزغرد فرحة ولا تعادل فرحة القرية كلها فرحتها ، وقد فر العمر منها وخشيت فراق الدنيا قبل ان تفرح بزواج شعبان .. سيطمئن قلبها بزواجه اذ ستترك لكل ولد من اولادها الثلاثة اما زوجة ورفيقة طيبة تشاطره رحلة الحياة .. الرحلة التي قطعتها مع الحاج ابراهيم في سعادة سابغة ... وهناء دائم ، ووفاق تام .. وكان احمد ابن اخيها اكثرهم جميعا فرحا يتنقل بين المدعوين معبرا عن فرحته بالرقص .. والغناء .. ويعلن بين لحظة واخرى رغبته في الذهاب الى طنطا لاحضار فرقة موسيقية وراقصات اذا تأخر صبحي وبقية الاصدقاء عن الحضور من القاهرة .. وبصحبتهم الفرقة .. لكن شعبان يطلب منه أن يتريث حتى الساعة الثامنة .

كانت ليلى عند مصفف الشعر في طنطا ، وشعبان يكمل هندامه ويعد نفسه للذهاب لاحضارها .. خرج من الدار وتلقى بعض زملائه الذين جاؤوا من القاهرة لمشاركته فرحته .. تجول قليلا بين المدعوين .. شعر بالفخر وهو يرى لمسات الاعداد الاخيرة للحفل .. فلم تشهد القرية منذ نشأتها حفلا استعد له كل هذا الاستعداد .. نحرت الذبائح ... وحضر الطهاة من البندر .. وتحضر الفرقة الموسيقية من القاهرة .. عدد هائل من القاهريين زملاء واصدقاء .. اللمبات مضاءة من الدار وعلى امتداد الطريق بين الحدائق تتدلى كالثريات تسقط اضواؤها على الطريق احتفاءا بالوافدين من العاصمة ام الدنيا .. عربة باكملها محملة بالواح الثلج جاءت خصيصا من البندر باسم القرية .. مكبر الصوت ينقل الحفل الى القرى المجاورة ، وقد هرع اهلها على اثر سماع صوت الكهربائي وهو يجري تجاربه ... هرولوا ملبين رغباتهم الدفينة في مشاهدة الراقصة « الغازية » القاهرية التي لا يرونها الا في الموالد او في البندر ..

القى شعبان نظرة الرضى والسرور واخذ طريقه الى خارج القرية ، ليستقل العربة المزدانة بالزهور .. كانت فرحته اكبر من ان يتحملها .. يشعر كانه عملاق يسير فوق ارض القمر حيث تنعدم الجاذبية .. خطواته البطيئة متسعة .. وكل من معه يهرولون .. اليوم فقط استرد كيانه .. اليوم استعاد ثقته التي فقدها بعد رفض نجوى الزواج منه .. سيتزوج شعبان ونجوى كما هي لم تتزوج .. تقترب حثيثا من سن اليأس .. اليوم عرف قدره ومقداره بين أهله وقريبته واصدقائه .. اليوم سيتوج صبره الذي طال وامتد حتى شمل الثلاثين عاما من

عمره .. اليوم يشهد مئات من المدعوين فاصلا بين حياتين عاشهما.. حياة عاشها يضرب بخطواته في اي اتجاه .. ابنما تسوقه الريح يندفع امامها .. تهزه اي نسمة تعترض طريقه .. تزعزعه اي عاصفة .. تزلزل كيانه اي صدمة ، وحياة جديدة يقف اليوم على اعتابها راسخا كالجبل الاشم .. شامخ الراس .. ثابت العزم والاصرار .. متين الخطوة .. قوي البنيان .. يسوق الريح كيفما يريد ولا يسلس لها قياده كما كان .. الجميع يشاركونه فرحته ابتداء من عمدة القرية الى اصغر اهلها.. ابتداء من مدير الشركة التي يعمل بها الى اصغر عامل فيها .. وعند مدخل القرية التقى بابن عمه عزت فاحتضنه وتلقى تهنئته .. تحسس عزت جيب صديريته وقال مبتسما :

ـ اشتريتها خصيصا لتحيتك في ليلة فرحك .. ستزغرد الطلقات نيابة عني..

ذهب شعبان الى البندر .. ووقفت القرية بمن فيها على قدم وساق تنتظر اوبة شعبان وعروسه.. بدت القرية في لحظة كترسانة مسلحة تستعد للذود عن كرامتها ضد معتد غاشم .. كل رجال القرية يحملون البنادق .. تكاد جيوب جلابيبهم تلامس الارض من ثقل الرصاصات .. يتباهون جميعا بعدد الطلقات التي احضرها كل منهم .. العمدة ثلاثمائة طلقة .. وشيخ الخفراء مئتان.. نظر زملاء شعبان القاهريون الى البنادق واعترى معظمهم الخوف .. توقع بعضهم الشر .. خشي اغلبهم ان يكون بين العائلات ثار قديم .. او ان تنشب معركة من لا شيء كما يحدث غالبا في الافراح .. وينقلب السرور الى حزن .. وتزغرد الطلقات في صدور الضحايا ، ويعم الظلام .. لكن الحاج ابراهيم طمأن قلوبهم مرددا :

ـ كلهم يجاملون الاستاذ شعبان.. كلهم احبة .. نحن والحمد لله اناس مسالمون ..

سرعان ما سيطرت مظاهر الفرح على القلوب الخائفة الوجلة ..وتبدد الخوف وسط الحفاوة البالغة والترحيب الطيب.. وانشغل الجميع بترقب حضور شعبان وعروسه ، وصبحي وبقية الاصدقاء والفرقة الموسيقية والراقصات .. وكل منهم يمني نفسه بليلة سرور رائعة حتى مطلع الفجر ..

كان احمد يصول ويجول كالديدبان من داخل القرية الى خارجها ..ومن خارجها الى داخلها .. ينتظر على احر من جمرات النار حضور الفرقة ليقوم باداء الرقصة التي وعد بها ابن عمته شعبان .. موجة الفرح الطاغية لا تترك مكانا في القرية الا وتطوف به معلنة الليلة فرح شعبان .. الاضواء تتلألأ .. وكل شيء بدأ يسرع.. الدقائق تهرول ، والمأذون بعد اوراقه .. المدعوون يأخذون اماكنهم حوله .. ام شعبان تعد الشربات .. بعض الرجال يصطفون على جانبي الطريق شاهرين بنادقهم الى السماء لاستقبال العربة التي تقل العروسين .. وكأنه موكب رسمي لقائد من القادة .. او عظيم من العظماء .. تهل بشائر الركب من اول القرية .. بعض الرجال يسبقون العربة بالتهليل والتكبير.. قفز احمد واعتلى مؤخرة العربة واخذ يمنع تكدس الرجال فوقها ..تعلق عزت شاهرا مسدسه في الهواء بجوار الباب ليكون له شرف فتحه لنزول العروسين.. نظر احمد الى ساعته فوجدها تشير الى الثامنة الا خمس دقائق .. عزم على الاسراع بعد نزول شعبان الى البندر واحضار الفرقة الموسيقية..توقفت العربة.. فتح عزت الباب واطلق رصاصته الاولى وامتلأت السماء بالطلقات التي غطت على اصوات زغاريد النساء مجتمعات .. انحشرت طلقة عزت الثانية في ماسورة المسدس .. هز المسدس بعنف ولم يفطن الى الطلقة التي اندفعت لتجد مستقرها في جمجمة احمد .. اهتز شعبان لاندفاعها وسقط ثانية في مقعده بالعربة .. واستمع الى صوت سقوط جثة احمد ابن خاله هامدة من فوق مؤخرة العربة غارقة في دمائها ..

كانت لحظة كخطف البرق .. كزلزال مدمر .. اصيب الجميع بوجوم تام ..غارت الاصوات وارتدت من الحناجر الى الصدور..واحتبست الزغاريد في الحلوق .. كانت لحظة صمت مرعبة .. رهيبة .. لحظة تغير عندها مجرى الزمن .. وتبدل كل شيء .. انقلبت الفرحة الطاغية الى حزن قاتل .. واندفع الصراخ، وانهمرت الدموع وتبلدت الاحاسيس وانحنت الرقاب اجلالا لرهبة الموقف.

خرج شعبان من العربة ونظر الى الجميع ففشيهم اضطراب ، وتبادلوا فيما بينهم نظرات اللوم والتأنيب والاتهام .. وعلى لسان كل منهم سؤال :

ـ لماذا كان الرصاص ؟

على الطريق الزراعي .. وعند مدخل القرية .. توقفت ثلاث عربات .. نزل صبحي واندهش للسكون المريب .. والهدوء المخيم.. اتجه الى مدخل القرية والتقى بعدد من الاهالي .. سألهم عن اقصر الطرق الى بيت شعبان .. قال احدهم :

ـ شعبان .. لقد انتهى الفرح منذ الساعة الثامنة .. سقط ابن خال العريس قتيلا ..

تلقى صبحي المزيد وصفا للحادث .. وفي نفس اللحظة استدارت السيارات الثلاث عائدات الى القاهرة .. بمن فيها من الاصدقاء والفرقة الموسيقية .. واخذ صبحي طريقه حزينا متألما الى بيت شعبان ومعه اثنان من اصدقائه لمواساته في محنته ..

جمعه محمد جمعه — **القاهرة**



الدكتور محمد مهدي البصير

محمد مهدي البصير كما عرفته

بقلم وحيد الدين بهاء الدين

* * *

كنا في اواخر الثلاثينات صغارا ، نردد كالببغاء في المدرسة الاولية ، قبيل الدخول الى الصفوف كل صبيحة ، نشيدا هذا شيء منه :

وطن والحق سينجده (١)	اصفيه الحب واعضده
اهواه ولولا مبدعه	لجهرت بانني اعبده
مهد التشريع ومنبته	ومنار العلم وفرقده
وابو العمران وحاضنه	ومنظمه وموطده
كم في الاصلاح له اثر	ما زال الكون يمجده

ما كنا نعرف من قائل هذا النشيد ؟ وما كان ذلك يعنينا في قليل او كثير . انما الذي عرفناه انه نشيد الى جانب سائر الاناشيد الوطنية والقومية . منها « نحن الشباب لنا الغد » و « هيا ارتقوا يا قومنا » و « زهرة الايام تقضى » و « هكذا دائما نمشي الى الامام » و « وطني والخصم راغم » و « موطني » والاخيران من شعر ابراهيم طوقان .

حتى اذا خطوت الى عالم الفكر والادب خطوات وئيدات ، ادركت ان صاحب النشيد لم يكن الا الدكتور محمد مهدي البصير .

في خلال عام ١٩٤٧ تبدت عندي نزعة الادب والتشوف الى مزاولة بعض انماطه .. شعرت ان قوة خفية تدفعني لتوقل سلم لم يكن لي به عهد بغية الاطلالة على الافاق ، والاندماج في درب هالني سلوكه بادىء بدء قصد الكشف والشوق الى المجهول .. وهل الحياة باقبالها وادبارها ، الا الاطلالة والكشف .. ذلك طريق الانسان الواعي ، وعنصر حركته ورمز ديمومته . الا انني كنت حائرا ، تتواثب امامي علامات الاستفهام، في الوقت الذي تعصف بكياني دوافع التردد والرهبة . لا احس بشيء من حولي ! كيف ابدأ ؟ ومن اين ؟ والى اين اتجه ؟ قائدا او مقودا .. راغبا او راغما .. فقد كان اللواذ من هنا بالرواد والمفكرين والادباء في الاقتداء بخبراتهم ومواقفهم واستمزاج ارائهم وافكارهم سبيلا لا بديل له ولا ندحة عنه ..من الطرافة بمكان ان ازعم انني كنت وقتذاك ماخوذا بهيبة شهادة الدكتوراه بالاداب ، متأثرا بصداها المدوي .

فكتبت فيمن كتبت الى الدكتور محمد مهدي البصير استاذ اللغة العربية وادابها بدار المعلمين العالية ، ارجوه ان يدلني على الطريقة المثلى التي تجعل مني نجما لامعا في سماء الادب .. ويدركني جواب البصير المؤرخ بالتاسع والعشرين من شهر تشرين الاول ١٩٤٧ ، وقد أملاه على سكرتيره الخاص يومذاك : ناظم خصباك . وفيه يقول: « ان ما تدرسونه في الاعدادية من النحو والشعر والادب كاف لان يعدكم اعدادا مرضيا الى ما تنشدونه في المستقبل واذا اجتزتم هذه المرحلة وجئتم الى فرع الاداب بدار المعلمين العالية فسوف يرشدكم بشخصه الى الكتب التي تحتاجونها انذاك ويعدكم اعدادا صحيحا الى ما تصبو اليه نفسكم الرفيعة » .

كان طبيعيا ان يكون لهذا الجواب المشجع لناشىء غض العود ، ناقص الخبرة مثلي ، اثر جميل ، وبعيد في عقله وقلبه ، يدعوه الى الانتفاع بنصيحة ثمينة والاهتداء بها اذا شاء ..

بعد فترة ، بينما نحن الطلبة في احد دروس اللغة العربية بثانوية كركوك للبنين ، طلب منا مدرسنا ان نشرح ثم نعرب بيت حافظ ابراهيم ، وقد كتبه على السبورة :

فالناس هذا حظه مال وذا علم وذاك مكارم الاخلاق

فاختلفنا في اعرابه جميعا . والمدرس ينظر الينا باضطراب خفي ، لا يعرف كيف يصنع ؟ لانه هو الاخر ـ على ما بدا وتأكد ـ لم يكن واثقا من اعرابه . ثم شرعنا نتطلع الى الاخرين من مدرسي اللغة العربية ، ونفزع اليهم .. فاذا كل منهم يعرب البيت الشعري كما يراه وكما يحلو له .. لذا وجدت الفرصة مواتية لاجدد الثقة بالبصير ، فاسأله اعراب البيت الذي حرنا فيه . وما هي الا ايام حتى يتناهى الي جوابه المؤرخ بالثالث والعشرين من كانون الاول ١٩٤٧ والمتضمن كل ما انشد .. وبذلك انتهجت النفس .. هكذا اتصلت بيني وبين البصير آصرة المعرفة ..

سراعا تلاحقت الايام .. في شتاء ١٩٥٢ حضرت الى بغداد من مدينتي كركوك ، لقضاء العطلة الربيعية ، وانا يومذاك اتعاطى بها تدريس اللغة العربية .. حيث ساورتني رغبة عميقة في ان ارى البصير ، واحاوره في بعض شؤون الادب المعاصر .. طلبته على الهاتف .. فاذا به يرحب بي ثم يرجوني ان القاه في الساعة العاشرة والدقيقة الخمسين من اليوم التالي بدار المعلمين العالية .

وفي الغد ، وفي الوقت المقرر كنت اصافح البصير في احد صفوف قسم اللغة العربية ، وهو يجالس طلابه ويجاذبهم الوانا من الحديث والطرائف .. وارتفع هادئا صوته :

ــ اتركوا لنا المجال ..

جلست الى مقربة منه . جعل يستدرجني الى شيء لم يكن في الحسبان .. ولكيلا تفلت الفرصة مني باغتته بما كان يشغل بالي :

ــ ماذا ترى في امارة شوقي الشعرية ؟

ــ شوقي لا يستحق الامارة الشعرية . ثم وهو يواصل : فكتور هوغو من اعظم شعراء فرنسا في القرن التاسع عشر . ولكنه مع ذلك ليس بأمير . واستطرد : الرصافي وحافظ ابراهيم انقى منه ديباجة .

قلت : اذن تؤمر من ؟

ــ بغير تحفظ : انا اؤمر جبران خليل جبران ..

هنا تبسمت ولولا خشية الافتضاح لاسترسلت في ضحكة مجلجلة لغرابة ما ترامى الي ..

وتابع البصير سائلا اياي :

ــ هل قرات كتابه « الاجنحة المتكسرة » ؟

ــ نعم قراته قبل سنين ..

ــ هذا الكتاب كله شعر وموسيقى ..

وقلت له : كيف تنظر الى طه حسين ؟

ــ انه من اصدقائي . وسبق ان التقينا ..

قلت ــ اريد رأيك فيه .

ــ كاتب طيب .. وعجلت اقول : وعظيم ..

سكت البصير .. واخذ يرفع راسه بشموخ .

ثم لا ادري ما جرى من حديث .. لكن الذي اتذكره ان جرس الدرس دق .. استاذنت البصير بالخروج فاستوى واقفا ضاحكا :

ــ الدرس ليس لي ؟ وتصافحنا ..

بعد اشهر .. وفي ١٦ ــ ٦ ــ ١٩٥٢ بالذات اهدى الي البصير نسخة من كتابه (خطرات) وكنت انذاك احرر القسم العربي من صحيفة « كركوك » ، فكتبت عنه مقالا عنوانه « الدكتور محمد مهدي البصير وكتابه خطرات . (٢) جاء فيه بالحرف الواحد : « الحقيقة ان هذه الخطرات تدل دلالة واضحة على غزارة مادة الدكتور البصير وعمق تفكيره واصالة رايه ورسوخ عقيدته .. بحيث ان كل قول من اقواله يصلح ان يكون مقالا مستفيضا .. »

واتفق ان سافرت بعد ذلك الى بغداد لمهمة شخصية. هناك هاتفت البصير محييا ومستطلعا رايه في مقالي عنه ، فاذا به يبدي ارتياحه من ما نشرت ، ويثني على شخصي الضعيف .. بينما الدكتور مصطفى جواد وقد لقيته وانا ببغداد قال لي بطرافته المعهودة ، وكان قرأ المقال ذاته :

ــ لقد البست البصير معطفا اكبر منه !

لفني الصمت .. من غير ان اعلق مكتفيا بشبه بسمة ... جائز انني كنت مغاليا في تقدير البصير وتقويم كتابه .. على اية حال كل شيء مرهون بموقف الانسان وبظروفه ..

الواقع انني كنت ازور البصير او اهاتفه كلما قدمت الى بغداد من كركوك . فقد كان الرجل يحتفي بي فاتحا لي قلبه مانحا بعض محبته . وفي كل زيارة له او مهاتفة معه كانت اسباب الحديث والفكر تتواصل بيننا في مناخ من الاحترام المتبادل حتى صار ينادبني بصديقه القديم . احاديثه من نوع (ما قل ودل) لا اسراف فيها ولا اسفاف . جمله قصار جاسمة .. مركزة ومشحونة احيانا بايماء وايحاء . وقد يلبث طويلا وهو ساكت لا يتكلم ــ والسكوت كما قيل من الذهب ــ ان لم يكن ثمة ما يستدرجه او من يبادئه . فقد وجدت رجالا من هذا القبيل ، يؤثرون الصمت على اللغو الفارغ .. وفي الصمت حينا بلاغة اين منها بلاغة الكلام .

منذ اقمت ببغداد في اواخر عام ١٩٦٤ لم اقابل البصير الا مرات ثلاثا اذا لم تخني الذاكرة . لعل شواغل هذه الحياة التي تمتص قوانا العقلية والوجدانية ، هي الباعثة على ذلك كله . انما ما نوهت به وما سأنوه لا يعدو ان يشكل خطوطا باهتة علقت بخاطري من معظم ما دار بيننا عبر اللقاءات والمطارحات في خلال هاته الاعوام الطوال ..

ذات مرة بينما البصير يتحدث الي وانا جالس اليه بدارته عن ابنائه الذين كانوا يدرسون بالخارج اذ دخلت علينا زوجته الفرنسية ورفيقته في درب الفكر ، ورحبت بي مصافحة اياي . هنا هجس في نفسي خاطر جاد به الموقف فاسأل به البصير :

ــ هل ابناؤك متأثرون بك اكثر او بامهم ؟

عجل دون تردد : انا متأثر بامهم .. فعلقت :

ــ وكيف لا يتأثر بها ابناؤها ؟

وفي اوائل شهر آب اللهاب من عام ١٩٦٧ ، اشتقت الى البصير وقد بعد بنا العهد .. قصدته بدارته بالوزيرية ... اول ما فعله ان تفضل فاهدى الي نسخة من كتابه «سوانح».. فوجدتني اتصفحه بلا عمد ، واصادف في موضوع له ، انه ينقد بعضا من مسرحيات توفيق الحكيم

نقدا شديدا . فقلت :

– لعل لك رأيا معينا في ادب توفيق الحكيم ؟

وبهـدوء ظـاهر : هراء كتبه .. سخف في سخف واستطرد : لديك كتابي الجديد اقرأ فيه ما فيه الكفاية عن هذا الشخص ..

جوابه جعلني اعقب : الكتب الجيدة الاصيلة قليلة قلة اصحابها ..

قال – اؤيدك في هذا كل التأييد . ثم اورد قولا – نسيته – من كتابه « خطرات » في تعزيز ذلك الرأي ..

قلت له : تقول في كتابك « خطرات » « ان ادبا بلا نزاهة لجمال بلا عفة » .. هل معناه ان الادب ينبغي ان يكون بعيدا عن التبعية وان الاديب ينبغي ان لا يغير رأيه في قضية – سبق ان ابدى بها رايه – مهما تبدلت الاحوال والظروف ؟

اجاب – اذا غير الاديب رأيه تبعا للمنفعة المادية فهو غير نزيه . واذا غير رايه تبعا للمصلحة العامة فهو رجل نزيه ..

قلت – قرات لك تعقيبات ونقدات على كل من شوقي والرصافي ؟

قال – شوقي متوسط وله حسنات . والرصافي شاعر كبير وله سقطات .

وانعطفت به الى مجرى اخر : الى يوم الناس هذا ، لم ينل اي اديب او شاعر عربي ، جائزة نوبل . ما السر ؟ ألا ترى للسياسة دخلا في ذلك ؟

رد – ان ادباء العرب وشعراءهم غير مقروئين على العموم في خارج العالم العربي . ولذلك فان اعضاء اكاديمية نوبل وغيرهم معذورون في عدم منح جائزة نوبل لاديب . وقد اخطىء كثيرا اذا قلت : انني لا اعرف اديبا عربيا يستحق جائزة نوبل ..

في السادس والعشرين من شهر نيسان من عام ١٩٧١، وددت ان اجدد ما بيني وبين البصير من صلات الفكر والوجدان . انما مر على لقائنا الاخير ما يقارب الاربع سنين .. وعلى اسلاك الهاتف ، قال وكله سرور وانشراح :

– غدا في الساعة الخامسة ، انت مدعو الى مائدة الشاي عند البصير .. فالى مائدة الشاي يا صديقي القديم ..

ولما كان من الغد وفي الوقت المحدد ، استقبلني البصير كعادته بمكتبته وهو يردد : اهلا وسهلا ، اهلا ... اهلا .. ما ان اطمان بنا الجلوس حتى ابتسم بسخرية لاذعة قائلا : قبيل وصولك كنت استمع الى اذاعة الكويت ، حيث كان هناك حوار بين المذيع وشاعر اسمه عبد المعطي حجازي .. فقلت :

– اعرفه .. وسبق لي ان التقيت به .. انه مصري.

– لقد استسخفت رايه .. لانه يقول : ان التجديد في الشعر بدأ في مطلع الخمسينات .. هذا يعني ان شعراء ما قبل الخمسينات لم يعبروا عن الواقع .. ولم يتحدثوا .. وتابع البصير : الم يكن شوقي عندما تحدث في اشعاره واقعيا ؟ والم يكن الرصافي واقعيا في هجومه على السلطان ، وانتقاد الادارة العراقية ؟ والم يكن الزهاوي في هجومه على السلطان العثماني معبرا عن الواقع ؟

– الذي ادركه ان عبد المعطي حجازي من دعاة الشعر الحر ..

– العودة الى الاطلال الدارسة وما اليها ومن موضوعات بالية خير من هذه السفسطة التي يسمونها الشعر الحر ..

هنا دخلت علينا زوجته وهي على جاري عادتها ترحب ، يسبقها تقديم زوجها : مدام البصير ..

انها اعدت لنا مائدة الشاي .. وددت ان يتخلل جونا حديث مستطرد ، فقلت :

– اطلعت على ما يخص حياتك وادبك في كتاب « شعراء العراق في القرن العشرين » الذي اعده الدكتور يوسف عز الدين ؟

عقب شبه متأثر : انه ناقص .. لا صلة لما اوردته، ونقله مني السيد صبيح رديف !

– الشيء بالشيء يذكر ، كذلك سبق ان قرأت ما كتبه رفائيل بطي في كتابه « الادب العصري في العراق»؟

قال البصير بلهجة ناقدة :

– ان رفائيل بطي رتب كتابه ترتيبا غير موضوعي. فوضع ال كاشف الغطاء في الطبقة الثانية بينما الطبقة الاولى من الشعراء تفتخر به . كما ان الزهاوي جاء قبل عبد المحسن الكاظمي ، في الوقت الذي يعد هذا الشاعر الكاظمي اعظم شاعر في العراق والبلاد العربية في مقدرة الارتجال . اذ انه ارتجل مئة بيت في لحظة آنية ..

وانسياقا وراء العفوية والتداعي عرج البصير وهو يتحدث عن الكاظمي ، على سليم سركيس منتقدا اياه ، لانه – اي سليم سركيس – وان اقام حفلة تكريمية للكاظمي الذي ارتجل بها قصيدة فاقت اربعين بيتا ومستهلها :

الغرب في يقظاته كاللهب   والعرب في غفلاته كاللعب

غير انه حاول ان يغمز قناة الكاظمي بان كتب قصيدته هذه دون أن يرتجلها .

قلت : مات الدكتور مصطفى جواد . لا شك كان لموته رنة اسى في الاوساط العلمية والادبية ، فهل لي ان اعرف رايك الصريح فيه ؟

قال : ان بحوثه اللغوية لا بأس بها . وشعره أوطأ من بحوثه .. ورسالته الدكتوراه لم تترجم الى العربية . وقيل انها لم تكتب الا بالفرنسية وانها ايضا – كما قيل – لم

عتاب

سؤال أود الاجابة عنه ... حبيبي اظلمي لديك شريعه
أشوقي اليك ولهفة روحي ... عليك أليست لديك شفيعه
ايا نور عيني تراك تضن، ... علي وتهفو لاخرى خليعه
أجنبي أتلهو بقلبي وحبي ... وتقسو وروحي لديك وديعه
فلا القلب ينسى محياك يوما ... ولا العين تنسى لحاظا بديعه

أتذكر يوما مررت عليك ... وكلي حنين وشوق اليك
تجاهلت امري وقربت غيري ... وحييت قدا لانثى لديك
وصفت هواها وحسن لماها ... وبان هواك ومن ناظريك
ورحت تداعبها يا حبيبي ... فمدت يديها تحاكي يديك
وعينك حنت ومالت اليها ... نسيت وجودي وحقي عليك

أتذكر يوما دخلت عليك ... وصوت الاثير تهادى ورن
تلفت حيث يناجيك همس ... ورحت تحيي وقلبك غنى
وعانقت الروح حبا ينادي ... وللهاتف القلب رن وحن
وراح هواك يقبل حبا ... رحيق فتاتك والقلب حن
تجاهلتني يا حبيب الفؤاد ... ظلمت وجودي فذاب وآن

أتذكر يوم التقينا هناك ... وناديت اسمي فعدت اليك
رفعت عيوني فلاقت هواك ... فتاه الفؤاد وبين يديك
وقيدني القلب لما رآك ... فلم استطع ان ارد عليك
وهز فؤادي حنيني وشوقي ... فذاب وجودي وفي مقلتيك
تشاغلت عني... فقل لي، اجبني ... شريعة حبك ظلمي لديك

مصر الجديدة — كريمة زكي مبارك

تكتب الا بالعربية . وهو زميل لي .

ـ اذا كان هذا رايك في زميل لك ، فكيف تنظر الى طلابك ..؟

ـ انا معتز بطلابي الذي يحبونني ك(علي جواد الطاهر .. وناصر الحاني . وحسين علي محفوظ . وصالح جواد الطعمة) ومن اليهم ..

ـ سبق ان تلوت ما نشره علي جواد الطاهر عنك في مجلة « الاديب » اللبنانية ، وما نشره ناصر الحاني في ملحق صحيفة « الجمهورية » وما نشره صالح جوادالطعمة في «الهاتف الاسبوعي » .. اما حسين علي محفوظ فقد سمعته يقول في مجلس كنت احد الحاضرين فيه : ما رايت البصير الا قبلت يده ..

احمر وجه البصير ولم ينبس .. الا ان ردد :

ـ استغفر الله ..

قبيل ان اخرج من عند البصير مصافحا ..مودعا، استمهلني بعض الشيء .. ثم جاءني ، وبيده نسخة من الطبعة الثالثة من كتابه « في الادب العباسي » هدية رائعة ، فتقبلتها شاكرا ذاكرا له شعوره ..

لقد كان ذلك اخر لقاء بالبصير .. وجرفتني تيارات الحياة ومتاعبها الى ما اشتهي وما لا اشتهي.. فلم يتسن لي زيارة البصير ، ولا الاتصال الهاتفي به .. أيا اسفا !

وفي الصبيحة الباكرة من التاسع عشر من شهر تشرين الاول عام ١٩٧٤ ، غاب البصير الى الابد ، مرتحلا عن دنيانا ، وقد اسهم في ثورة العشرين بكل وجدانه وكيانه ، وشارك في ارساء قواعد النهضة الادبية والتربوية بالقطر العراقي ، وادى واجبه نحو امته ووطنه ومجتمعه بما ارضى نفسه والاخرين . انار الله جدثه ..

بغداد — وحيد الدين بهاء الدين

---

(١) هكذا حفظناه . وفي ديوان (البركان) للبصير (يؤيده) . انظر الملحق الثاني والعشرين من مجلة (المعلم الجديد) العراقية ١٩٥٩

(٢) العدد ١٣٩٤ في ١٥ ـ ٨ ـ ١٩٥٢ .

من مسرحية فاجعة مايرلنغ

الامير رودولف والكونت تافي رئيس الوزراء

تـافي :

امیري جئـت في امـر — جليـل الخطب والخطر
اتيت ، ورائدي نصـح — وود غـير مسـتتر
ارى خلل الرمـاد لظى — تكـاد تهب بالشـرر
واخشى ان تطيح النار — بـالتيجـان والازر

رودولف :

اتجزع مشفقـا للتـاج — خـوف عواصف الفتن
تخاف النار في تـاج — ولا تخشـى على وطن
تخاف ؟! اجل تخاف الحق — يحكيـه فم الزمـن
ومـا ظلـم يـرد اذى — ويخمـد جامح الفتن

تـافي :

اذنـبي انـني اخلصت — في حبـي لسلطـاني
مـتى عـد الوفـاء نقيصة — في حـق انسـان
صدقت الود في وطـن — وفي تـاج واوطـان
وكنت السيف في نحـر — العـداة بكـل ميدان
وكنت العين ساهرة — على وطن وسلطـان
يقـل دمي (لقيصر) فدية — ودمـوع اجفـاني

رودولـف :

انا لا الـومك ان صدقـت — (لقيـصر) ودا وحبـا
مـا الذنـب حبك قيصرا — بـل كان ظلم الناس ذنبـا
مـا كـان ضرك لو رفقـت — بعـاثـر ورحمت شعبـا

تـافي :

امـيري ان بعض الرفق — عـجز غـير محمـود
وليس الملـك بالامـال — يبنـى والانـاشيـد
يشـاد الملك في هـمم — وفي اقـدام صنديـد
فـلا تؤخـذ باوهـام — وفي اقـوال عربيـد
فكـم كفر تزيـا كاذبا — بثيـاب تـوحيـد

دمشق

عدنان مردم بك



نقولا يوسف

عصمت محسن

« بنت بطوطة » و « ام البحرية »

١٨٩٨ – ١٩٧٣

بقلم نقولا يوسف

* * *

هامت بالبحر في شتى صوره وبسفنه .. وبالاسفار وما يدور حول البحر من قصص ومغامرات واخبار .. وتمنت لو كانت جنديا في اسطول بلدها ، مثل امير البحر حسن الاسكندراني جدها .. فلما لم تحقق التقاليد حلمها ، ركبت البحر ، وطافت بالبلاد ، وشاركت الملاحين حياتهم فلقبوها « بنت بطوطة » ! وامضت العمر تولي القوات البحرية رعايتها ، وتتبنى فتيانها فسموها « ام البحرية » .. وتبحرت في الادب والتاريخ والاثار ، ونشرت المقالات والابحاث والمؤلفات ولم يعرف غير الاقلية ، ان صاحبة هذه الالقاب وتلك الدراسات هي الكاتبة « عصمت حسن محسن » الاديبة العربية السكندرية .

وفي ظهر السادس من شهر فبراير عام ١٩٧٣ كنا جالسين في المقهى المطل على الميناء الشرقي السكندري ، حين ظهر امامنا موكب جنائزي ، صامت مهيب، يسير الهوينى بحذاء الشاطىء ، تتقدمه في مشية عسكرية كتيبة من ضباط البحرية ، ويتوسطه نعش يوشحه العلم المصري ، وتحمله هامات الملاحين ، وتتبعه جموع المشيعين وعلى راسهم محافظ المدينة وكبارها العسكريين والمدنيين ..

وتساءل البعض عمن يكون امير البحر هذا الفقيد ؟ وما لبث ان علم انها جنازة « ام البحرية » السيدة الكريمة التي وهبت حياتها ومالها وقلبها لمواطنيها .. واوصت بما تملك للقوات البحرية .. واهدت الى اسطول بلادها ، السفينة الحربية « مصر » التي اشتركت عام ١٩٤٨ في حرب فلسطين ، والى المتحف البحري الشيء الكثير الثمين ..

لقد سمع الناس بهذا اللقب الجليل الذي خلعته الدولة والشعب على هذه السيدة .. ولعل بعضهم سمع أيضا بما لها من اياد بيضاء في الميادين الاجتماعية والدينية والريفية .. لقد بنت مسجدا لاهل حيها بجوار بيتها .. ورعت الفلاحين والفلاحات في ارضها ، واسر الشهداء والجنود في وطنها .. ولعل هناك من كان يعلم ايضا انها كاتبة اديبة لها المؤلفات الادبية والتاريخية في العربية والفرنسية ، ولها المقالات والابحاث المطوية في صحف مصر وفرنسا ، يحمل اكثرها كنيتها « بنت بطوطة » واقلها تذيله تواقيع اخرى .. وكانما صانت اعماق البحر لآلىء اديبتنا « عصمت حسن محسن » حتى استخرج الغواصون بعضها ، ولم يزل البعض الاخر مطويا في صدره !..

وهكذا سار الموكب تشيعه القلوب في خشوع ، حتى غاب عن الانظار في طريقه الى المقر الاخير يحفه الصمت والوقار ، كما عاشت صاحبته عمرها تعمل في صمت ، وتؤدي الخدمات في غير ضجيج ..

ومنذ تلك الساعة خلا بيت «ام البحرية» من صاحبته ومضيفته ، وتحول بعدها الى مزار تملأ جنباته الذكريات ، واصداء الاحاديث التاريخية والحكايات .. ونوادر العطاء والامومة والمكرمات ..

وكان هذا البيت – الزاهد في الدعاية والاعلان – لا يطرقه على الرحب والسعة غير فئتين من الناس الباحثون في التاريخ والاثار ، والعاملون على السفن والبحار .. ولكل من الفريقين مجالس خاصة وضروب من الاحاديث . اما اهل الفضول الساعون الى الفرجة والاستطلاع ، واما الصحفيون الراغبون في اذاعة الطرائف والصور لتسلية القراء ، فلا حاجة اليهم في هذه الدار .. وما كانت اديبتنا لتضن بمؤلفاتها على الراغب في القراءة ، الجاد في البحث وبذكرياتها وتجاربها ترويها لمن يحب الاستفادة من المتادبين ..

واليوم وقد خلت الدار ، وامست حياة اديبتنا وما كتبت في ذمة التاريخ ، فلا حرج في سرد ما تيسر من

الذكريات وفاء لعهد كاتبة ،بذلت لمواطنيها النفس والنفيس ..

سعدت بلقاء الكاتبة الباحثة عصمت محسن «بنت بطوطة» و«أم البحرية» عدة مرات وبخاصة في الستينات والسبعينات الماضيات في بيتها الانيق ، قصرها الصغير الجاثم على شاطىء الميناء الشرقي بحي الانفوشي الشعبي- رقم ١ شارع قصر رأس التين بالاسكندرية وكان «جواز المرور» الى هذه الدار ، ما عرفته رحمها الله عن تعلقي بالتاريخ والاعلام والاثار ..وكنت اصحب احيانا بعض الشيوخ الباحثين الذين تحب مبادلتهم الراي في التاريخ العربي واخبار المكتشفات الاثرية والدراسات الاسلامية ، اذكر منهم العالم الاثري الراحل حسن عبد الوهاب صاحب المؤلفات والكشوف والخبير في الاثار العربية ، والمتوفي في مارس ١٩٦٧ ، والكاتب الاديب صديق شيبوب المتوفي في ابريل ١٩٦٥ وقد سبقاها الى عالم البقاء ،وبكتهما عند موتهما ، وذهبت لعزاء اسرتيهما .. وكان هناك غيرهما من علماء التاريخ وشيوخ البحث ورواد الادب ..

القصر الصغير مؤلف من طابقين يعلوان «الجارج» تصعد اليه ذات مساء لتستقبلك صاحبة الدار في طابقه الاول حيث تنبسط قاعة الاستقبال في بساطة وجمال وتطل شرفتها على صفحة البحر وما عليها من سفن وقوارب سابحة وراسية ، وما على البر من مراكب معدة للاصلاح والترميم ، صور تذكر اديبتنا الرحالة طوال يومها بحياة البحار وسفنها وتعيش مع نسماتها وخرير امواجها .

وتزين القاعة لوحات فنية تعرض صور البحار والمراكب المصرية ، وهنا لوحة تمثل موقعة «نفارين» البحرية عام ١٨٢٧ وقد اشترك فيها جدها حسن الاسكندراني مع سائر ابطال الاسطول المصري .. وهذه لوحة ظهر بها عدد من «فرقاطات» هذا الاسطول راسية قبل تلك الموقعة ..وثالثة بها بعض السفن الحربية المصرية عام ١٨٤٠ ومعها السفينة البخارية «النيل» ..وتلك صورة ملونة لحسن الاسكندراني واخرى لاديبتنا في رونق العمر ..وغيرها من صور ولوحات اثريات ..

وتنتشر على جوانب القاعة قماطر عامرة بالكتب في شتى اللغات .. وتحف وقطع اثرية ، عربية وعالمية ، تحتفظ بها اديبتنا في متحفها هذا لتهديها جميعا الى بلدها مع كل ما تملك ..

.. ثم تتخذ لك مقعدا وثيرا في ركن من الغرفة .. وتجلس مضيفتك قبالتك تتوجها هيبة الشيخوخة وتجارب السنين ، وتشملها بساطة المظهر ، وظرف الشمائل .. وتتحدث اليك في لهجة سكندرية، تتخللها نكات وملح ذكية .. ويدخل شيخ نوبي بملابسه الوطنية ، ليقدم اليك كوبا من الشراب المعطر بالنعناع ! .

وتتشعب الاحاديث في وديان الادب والتاريخ ..وتلف الشرق والغرب .. وتتمهل عند الامجاد الانتصارات العربية .. وقد تتطرق الى ذكريات اسفارها في البحرين الابيض والاسود او في غيرهما .. وطوافها بمزارات المغرب واطلال الاندلس ، ومتاحف باريس ومكتباتها .. والى اول من دعاها « بنت بطوطة » تشبها بالرحالة المغربي المشهور عبد الله بن بطوطة من القرن الرابع عشر ..

وهنا قد يعن لك ان تسأل عما اذا كانت دونت ذكرياتها او يومياتها ، او املت مذكراتها وطرائف رحلاتها كما يفعل المئات من الكاتبين في كل مكان ؟ وتجيبك في رفق: وما الفائدة ياأخي من نشر هذه الذكريات الخاصة ، وهل هناك المهتمون المقبلون على قراءة هذه الاشياء ؟ ! .

واغلب الظن انها لم تعن بكتابة ذكرياتها وتدوين رحلاتها اما زهدا في الدعاية والحديث عن النفس ، واما لاتجاهها الى الكتابة في التاريخ من وجهته العامة لما يتضمنه من مواعظ وتذكرة وعبر ! .

ولعلك تسالها ايضا عن مؤلفاتها المطبوعة التي تسمع عنها ولا تعثر عليها في المكتبات .. فقد تعلم انها تطبع كتبها العربية في مطابع دمنهور والاسكندرية ، او ربما رأيت بعضها عند الاصدقاء وعليه اسم المؤلفة : «بنت بطوطة» وتجيبك انها لا تبيع هذه الكتب بل تهديها الى من يحب قراءتها ، والى من يستفيد حقا من مواعظها ! .

وانت جدير ولا شك باقتناء مؤلفات عصمت محسن «بنت بطوطة» وعليها عبارات الاهداء .. وها هي تطلب من الخادم أن يحضر من الخباء ما يجده منها ويعود بعد قليل حاملا ستة كتب من تأليفها ، مطبوعة في اللغة العربية لنفع مواطنيها ، ومترجم بعضها الى الفرنسية التي تجيدها ، وتكتب بها لابناء الغرب .. وقام ببعض هذه الترجمة بعض الاصدقاء الادباء ..

وتحمل هذه المؤلفات العناوين التالية مع تواريخ طبعاتها : «احاديث تاريخية» ١٩٤٠ «من تاريخ هارون الرشيد والبرامكة» ١٩٤٣ «فينيقية» ١٩٤٥ «صفحات من تاريخ البحرية المصرية في عهد محمد علي» ١٩٤٧ «بطولة قرصان» ١٩٥٢ «معركة نفارين» ١٩٦٠ .

وكان لها مؤلفان تاريخيان اخران سمعنا بهما ولم نرهما مطبوعين في العربية - الاول بعنوان «مذكرات تكميلية» والثاني عن «سيف الدولة» ..كما ان لها مؤلفات في الفرنسية ترجم بعضها كما سلف .. وابحاث ومقالات شتى في صحف فرنسا .. واخرى في المجلات العربية ، منها ما نشر بمجلة « الثقافة » بالقاهرة في عامي ١٩٤٦ - ١٩٤٧ - ولم تجمع هذه المقالات في المجلدات ..

فاذا تصفحت هذه المؤلفات ، رأيتها مكتوبة في لغة ناصعة سلسة ، تسرد حقائقها التاريخية في اسلوب قصصي شائق ، تترقرق فيه الشاعرية ، ويكشف عن موهبة قصصية اصيلة ، ولكنها لا تعتمد على الخيال في سرد الحوادث ونقل الوقائع وقد تؤيدها احيانا بتاريخ اليوم والشهر والسنة - اللهم الا فيما يستدعي الاستنتاج

او المناقشة ـ وهنا تجتمع امانة المؤرخ وفن الراوية الاديب. ثم ترى في هوامش الكثير من الصفحات ، ايضاحات موجزة لبعض العبارات ، واشارات الى المراجع الكبرى وبخاصة الفرنسية منها ..

هكذا جاء مؤلفها «من تاريخ هارون الرشيد والبرامكة» اقرب الى القصة التاريخية الفنية منها الى السجل التاريخي المألوف ، مع التزامها بالصدق والحياد.. وقد قدمت لكتابها هذا بايضاح جاء فيه « ان الناس يعرفون هارون الرشيد واخته العباسة ووزيره المقرب جعفر البرمكي ، كما يعرفون تلك التي ادت الى هذه النكبة .. وانا ايضا اجهل تلك الاسباب .. ولقد اردت ان استعرض تاريخهم في شكل جديد ، واضفي على اشخاصهم صورا تلائم الافكار الحديثة وتتفق والنفسية البشرية، وتوخيت تجريد التاريخ من الخيال والزلفى ، فهم كانوا كبار النفوس حقا، ولكنهم كانوا ايضا صغارها ، اذ كانت لهم عظمة الانسان وضعفه. وكانت لهم جاذبيته وعيوبه واخطاؤه . وكل ذلك يبعث على تقريب الشقة بيننا وبينهم .. » ولقد انتفع بعض كتاب القصة والمسرحية بهذا المؤلف ..

وفي كتابها التاريخي « فينيقية » الشائق العرض، والذي ربطت فيه بين الشام ومصر ، وصورت الصلات القوية بين مدنهما القديمة ، وبخاصة في عهد « اخناتون » وقد افردت له فصلا رائعا نراها تقدمه الى محبي الاثار المحدثة بعظمة الشرق، وتهديه «الى الذين يحبون الالمام بتاريخ الاثار والاحجار البالية القديمة ، تلو الاثار والاحجار التي كانت في غابر الازمان مدنا عامرة زاهرة فذهبت ولم يبق الا اثرها ، وما اثرها الا تلك الاحجار المهشمة والخرائب المندرسة التي شهدت عظمة امم الشرق بعد ان عمرت حضارتها الاف السنين ، في خلالها مدنت العالم ونشرت في ارجائه العلم والعرفان ، ومحت ما كان فيه من همجية وجهل ، وهذبت عقول الناس ونفوسهم ، ومدت آفاق علومهم وفنونهم ...»

كذلك جاء كتابها « صفحات من تاريخ البحرية المصرية في عهد محمد علي » ١٩٤٧ » باسلوبه القصصي وعرضه الفني ، وسير ابطال البحر من ابناء العرب ، في صراعهم مع اهوال الطبيعة وغدر العدو ، ومؤامرات السياسة ، جديرا باقبال شباب بلادها ، وقد قدمت لهم كتابها هذا وكذلك كتيبها عن : «معركة نقارين» بسطور عنوانها : « الى بلدي » وتقول « تحتاج البلاد الى جنود، والى جنود قبل كل شيء جنود يطيعون ليستطيعوا ان يقودوا ويقودون ليستطيعوا ان يخدموا ، ويخدمون ليموتوا في الخدمة .. فيا شباب اليوم كيفما تكن مراكزكم ، سواء اكنتم فلاحين في الحقول ، ام عمالا في المدن ، ام من طلبة المدارس والجامعات ، تعلموا ان تخدموا في الجيش جنبا الى جنب في ظل المساواة ، فخورين بانكم جنود تتقلدون السلاح... »

وكان كتابها المسمى « بطولة قرصان » سيرة ضابط في البحرية الالمانية ابلى في الحرب العالمية الاولى ، واسر وغامر وخدم بلاده ، ووضع عنه كتاب بعنوان "القرصان الاخير" (فليكس دي لوكنر) . وقد شابهت حكايته الاساطير ومع ذلك فهي سيرة صادقة في حوادثها ومغامراتها ، رأت اديبتنا ان تضعها امام ابنائها من جنود البحر ...

وولدت عصمت حسن محسن بالاسكندرية عام ١٨٩٨، وتوفيت بها يوم الخامس من فبراير ١٩٧٣ ودفنت في ثراها ولها من العمر خمسة وسبعين عاما ..

ووالدها حسن محسن بن حسن الإسكندراني أمير البحر ووزير البحرية المصرية ، المستشهد عام ١٨٥٤ ووالدتها عزيزة حسن ابنة الامير حسن اسماعيل .. وكان خالها عزيز حسن من قادة الجيش المصري وممن اشتركوا في حرب البلقان عام ١٩١٢ .

ونشأت اديبتنا على شاطىء الإسكندرية ، وتعلمت في البيت والمدرسة ، واجادت العربية والفرنسية والانكليزية وبعض لغات اخرى فيما نظن وشغفت منذ صباها بالادب والتاريخ .. وكانت تكتب في فجر شبابها في المجلات المحلية الفرنسية .. ثم تزوجت بالمرحوم محمد ثابت ، وانجبا ابنين وابنة ، شبوا وعملوا في المؤسسات العامة ، واشتغلت كريمتها في صحف القاهرة العربية .. واصبحت اديبتنا جدة متفرغة لخدمة الناس..

وورثت عصمت محسن ذلك الشغف بحياة البحار، وبالسفن والاسفار ،عن جدها لابيها القائد البحري « الاميرال » حسن الاسكندراني الرجل العصامي الذي خرج من صميم الشعب السكندري ، ليدخل في التاريخ الحديث بطلا من ابطال القوات البحرية العربية وشهدائها وتحدثنا « بنت بطوطة » في كتابها « صفحات من تاريخ البحرية المصرية » عن قصة هذا البطل منذ ان اوفدته حكومة محمد علي الى فرنسا عام ١٨٢٠ مع زميلين آخرين ، حيث قضوا سنتين في دراسة اعدادية ، ثم التحقوا بالمدرسة البحرية ، وتخرجوا فيها ، وباشروا رحلات تدريبية على السفن الفرنسية ، وطافوا ببحار اوربا الشمالية وامريكا الجنوبية .. ووضع حسن الاسكندراني حينذاك كتابا بعنوان « يوميات رحلة الى البرازيل وراس هورن » .. ولدى عودته الى وطنه تدرج في الرتب البحرية حتى اصبح « اميرالا » وقائدا في الاسطول .. وابلى في موقعة « نفارين » يوم ٢٠ من اكتوبر ١٨٢٧، ثم شارك في تجديد وانشاء الاسطول الحربي المصري، وفي تحصين شواطىء الاسكندرية وضواحيها الى ان استشهد يوم ٢٧ من اكتوبر ١٨٥٤ في واقعة « القرم » التي نشبت بين تركيا وروسيا واستعانت فيها تركيا بالاسطول المصري ، وجاء الاسطول الانجليزي ايضا مستصحبا اسطول فرنسا لمساعدة تركيا ..

وراحت اديبتنا منذ فجر شبابها تبحر شرقا وغربا

ولم تكن تستهويها بواخر الترف ورحلات البذخ ، مفضلة السفر على سفن صغيرة ، ومشاركة الملاحين حياتهم الخشنة ، وتعرضهم للمخاطر في مصارعة الانواء والامواج.. وتنقلت بين موانىء البحرين الابيض والاسود ، وفوق المحيط وبحار الشمال .. وزارت سورية ولبنان، وبلاد المغرب وتركيا واليونان.. وطافت بمدن الاندلس وفرنسا، وبلجيكا وايطاليا وغيرها تدرس الاثار والاطلال، والمساجد والقلاع ، والمتاحف والمكتبات ، وتقف عند كل ما يتصل بالتاريخ العربي وذكريات العروبة ..

وقضت في طوافها بتلك الاقطار نحو ثمانية عشر عاما، واستقرت بباريس فترة طويلة من الزمن ، عاكفة على البحث والدرس ، والكتابة والتأليف .. وكانت تنشر المقالات في الصحف الفرنسية بتوقيعات مستعارة كعادتها .. وهناك التقت بالمستشرق الفرنسي الباحث «كريستيان شيرفيس» الذي اجاد اللغة العربية ودرس فقه ابي حنيفة، وعاش بين المخطوطات والتراث العربي .. ولاحظ هذا العالم ما تفردت به هذه الفتاة العربية من مواهب ادبية وميول ثقافية ، ومن ولع بتاريخ قومها الى شغف بالاسفار والرحلات فرأى لها ان تكتب في تاريخ العرب والشرق ، وان تتكنى بـ « بنت بطوطة » احياء لذكرى الرحالة العربي « ابن بطوطة ».. وسمح لها بالبحث والتنقيب في مكتبته العامرة بالمراجع العربية والفرنسية وغيرهما من اللغات ..

ومن طريف ما روته لنا من ذكريات ذلك العهد ، ان جريدة « ليمتان » الباريسية اعلنت يوما عن مسابقة ادبية تاريخية موضوعها : اشهر المواقع الحربية الفاصلة في التاريخ » على ان يقدم هذا البحث في اللغة الفرنسية، وللفائز الاول خمسمائة فرنك.. واشتركت عصمت محسن في هذه المسابقة مع سائر الكتاب ، ووقعت بحثها باسم وهمي لرجل فرنسي.. وكتبت عن ثلاث مواقع كبيرة اشتهرت ببطولاتها العربية وهي موقعة «حطين» (التي حدثت عند هذه القرية الفلسطينية وانتصر فيها صلاح الدين ..) و «عين جالوت» (التي هزم فيها بيبرس جيش المغول والصليبيين عام ١٢٦٠ م بفلسطين) ثم موقعة «شريش» في اسبانيا (حيث تقاتل العرب والاسبان مرارا الى ان سقطت في يد الملك الفونس العالم عام ١٢٦٤م بعد كفاح مرير) .. وفازت اديبتنا « عصمت » بالجائزة، ولما اعلنت جريدة « الماتان » عن نتيجة المسابقة واسم الفائز ، واطلع على ذلك ضابط فرنسي متعصب لقومه، ثار وبعث الى الجريدة محتجا على ذلك « الرجل الفرنسي» الذي لم يتخير من المواقع الحربية غير ما يتصل بمجد عربي او نصر على جيش فرنجي .. وصحب احتجاجه بدعوة هذا الكاتب الى المبارزة ! ولكنه ما لبث ان تملكته الدهشة والخجل معا عندما علم أن صاحبة البحث الفائز، اديبة عربية مثقفة ، ذات مكانة اجتماعية في بلدها، ودراية بتاريخ قومها .. وما كان منه الا ان ذهب الى دارها حاملا طاقة انيقة من الازهار ،ولاهجا بعبارات التقدير والاعتذار!

وشدد ذلك عزمها على المضي في الكتابة والتأليف وبخاصة في التاريخ العربي باللغة الفرنسية ليطلع عليه القارىء الاوروبي .. وكان من مؤلفاتها الفرنسية ما ترجم الى العربية وظهر تباعا منذ الاربعينيات ..

وعندما بدات بمصر ثورة يوليه ١٩٥٢ كانت «عصمت محسن » من انصارها ومؤيديها ، ووجهت اهتمامها الى القوات البحرية ، ولقبت منذ عام ١٩٥٣ « ام البحرية» تقديرا للخدمات والرعاية التي كانت توليها لرجال البحر وضباط الاسطول ، وكان هؤلاء جميعا يدعونها « أمنا».. كما منحتها الدولة عام ١٩٥٦ وسام «الكمال» .. وحدث ان فقد منها هذا الوسام ، فاهدي اليها وسام آخر ومعه رسالة من كبير الامناء تقول : « لما عرف عنك من حب الخير ، واهتمام بشؤون البحرية ، فرياسة الجمهورية تهدي اليك هذا الوسام بدلا من الذي فقد منك ..»وكان ذلك في الاحتفال بيوم البحرية ، وبانشاء المتحف البحري بالاسكندرية في شهر يونيه ١٩٦٠.

وفي سنيها الاخيرة كنت تتنقل بين بيتها البحري بالاسكندرية ، وبين بيتها الريفي ببلدة « شبراخيت » بمحافظة البحيرة ، تستقبل في الاول ابناءها من القوات البحرية ، وفي الثاني فلاحي ارضها وفلاحاتها لرعاية شؤونهم .. وقد تعقد ندواتها في شرفة ذلك البيت المطلة على الحقول ، كالتي وصفتها في مقدمة كتابها : « بطولة قرصان » وشرحت فيها خلال حوار قصصي دار بين الحاضرين في الندوة ، الفرق بين القرصان من لصوص البحر ، وبين بطل هذه القصة « الواقعية » الذي غامر من أجل بلاده في تلك الحرب الكبرى .

وفي غداة رحيلها كان مما نشره الاوفياء في الصحف هذا النعي:

« قائد القوات البحرية ، والضباط والصف والجنود ، والعاملون المدنيون بها ، ينعون ببالغ الحزن والاسى ، فقيدة الوطن والبحرية السيدة الفاضلة عصمت هانم محسن « ام البحرية» وحاملة وسام الكمال، وحفيدة أمير البحر حسن الاسكندراني ، البطل الذي رفع لواء مصر عاليا على البحار ، ويبكون فيها وفاءها الصادق للوطن ، وتفانيها في خدمة القوات البحرية ، وما تحلت به من جميل السجايا ، ويذكرون بالتقدير والعرفان ، ما ادته من جليل الاعمال نحو ابنائها رجال البحرية . رحم الله الفقيدة ... »

وهكذا قضت هذه السيدة العربية الادبية ، وبقيت لنا مؤلفاتها ومقالاتها المنشورة بتوقيع « بنت بطوطة » او بغيره ـ تذكرنا بحياتها الحافلة بالخدمات والجهاد من اجل قومها والناس اجمعين ..

الاسكندرية **نقولا يوسف**

محمد علي طاهر

●

سمي محمد وعــــلي طـاهر ... لقـد طابـت بمشواك المقـــابر
ورحبت القلى بقدوم ضيـــف ... كان قـــدومـه قدس المجـامر
ترى : العربـاء تدري من فقدنا ؟ ... من الاعـــلام والعرب العبـــاقر
بكـى لبنـــان فذا مــن بنيــه ... بكـــاء الشام ـ تونس والجزائر
وشـــاطرت الكنائــس والمنابــر ... كمـــا بكت المساجد والمنائر
على من مــن فحول الدهر امسى ... على الاشـــرار والظـلام ثائــر
حيـــاة جهـاده نور ونــــار ... لــدن شقـت خطاه سنى لعـــاثر
« ظلامة سجنه » هل تذكريهـــا ... ايـــا ارض الكنانـــة ... والمفاخر
وليـــدك يـــا فلسطـين لفخـــر ... يزيـــد شعاع جوهرة الجواهر(١)

ترى بـــيروت يا ام المعـــالي ... ويـــا بـلد اللقـــاء لكل عـــابر
ذكرت الامس اذ هزت يميـــني؟ ... يمين محمـــد وعلي وطاهـــر (٢)
لثمت المجـد والعليـاء فيهـــم ... وتاريـــخ الاوائـــل والاواخر
ابا حسن اتسمع صوت خــــل ... يفيك اليـوم دينـــا جاء غابر (٣)
اتذكر اذ مسحت دمـوع عيـني ... لــدن شق الفؤاد سنـــان غـــادر
وكنت قبيـــل ان غربت ثريــــا ... انـــام على اغـــاني الروض طائر
وداعـــا يـــا اخا ودي وروحـــي ... وداعـــا يا ابـــا حســـن المآثر
سلام الانبياء واهــــل بيـــــت ... تقـــدس بالنبــــوة والبشائـــر
على رجل شبيبتـــه تقضـــــت ... جهـــادا بين اشداق الدوائر (٤)

اخـــي حســـن وليـــد الطهر اهلا ... ويـــا سهلا اذا ما جئت زائـــر
واهـــلا بالاميـــم وحل قربـــى ... من الاخـــوان او اهل الغدائـــر
ابـــوك يقيم في عال تســـامى ... عن الابصـــار ـ في بلد السرائـــر

---

(١) ولد المرحوم في فلسطين جوهرة جواهر النصارى والمسلمين. (٢) كان تلاقينا لاول مرة في فندق فينيسيا ١٩٧٢ حيث قدم ليراني (٣) وليده حسن وسنة نكبت بالاقحوانةثريا امطرني برسائله المعزية والمهدئة (٤) «ظلام السجن» عنوان احـد كتبه وفيه يصف مـــا قاسى من الاهوال في سجن مصر وخارجـــه.

هوستن ـ تكساس امريكا ... سليمان داود



عبد الغني العطري

النقد ... سبيلنا الى أدب افضل

بقلم عبد الغني العطري

• • •

ما من شيء يدفع الادب في طريق التقدم والكمال ، مثل النقد الصحيح الخالص . وما من حافز يحدو الاديب نحو الاجادة والابداع ، مثل الناقد الهادف المخلص .

ان اكثر ما ينقص ادبنا المعاصر نقد نزيه ، وناقد كفؤ ، حر الضمير ، يقول كلمة الحق بجراة واخلاص ، ويتحدث عن العيب لانه عيب ، ويدلنا عن الزيف لانه زيف . لا يدفعه الى « النقد » حب المجاملة والمصانعه ، ورضى الكاتب ، ولا يحدوه اليه رغبة بالتشفي او التجريح او التشهير او التهكم . فأين هذا الناقد الكفؤ ، القدير في ادبنا المعاصر ؟

اني لاتلفت ذات اليمين ، وذات الشمال فلا اكاد اجد هذا الناقد بالمرة . واذا ما وجدته ، الفيته صديقا محبا يدعي انه ناقد . اما الناقد الذي يضع اصابعنا على الزيف لانه زيف ، ويدلنا على العيب لانه عيب ، فلا أكاد اجده .

ولعل هذا الفراغ الكبير ، الذي يتركه غياب الناقد الحر في ادبنا ، احد اسباب تخلف هذا الادب . ان عشرات الكتب تقذف بها المطابع كل يوم في بيروت ودمشق والقاهرة والرباض والكويت ، وسائر المدن والعواصم العربية ، ومع ذلك قلما نجد في صحفنا ومجلاتنا العربية ، الناقد الذي يقول في هذه الكتب كلمة حق خالصة ، دون تملق مقصود ، او تهجم مغرض .

وعشرات المقالات الادبية تطالعنا بها الصحف العربية ومع هذا لا نجد من يناقش فكرة من افكار هؤلاء الكتاب ، ناقدا باخلاص ، او مقرظا بحق ، الا فيما ندر ، والنادر لا حكم له . وعشرات الاحاديث والمحاضرات في الاذاعات والاندية ، يحاضر بها اصحابها ، ومع هذا لا نجد من يعرض لهذه الاحاديث والمحاضرات بكلمة نقد ، او يدل على خطأ ، او يقول كلمة حق .

ومعظم المجلات الادبية الشهرية وغير الشهرية في العالم العربي ، تنشر المقالات والقصص والاشعار ، ونادرا جدا ما نجد بين صفحاتها مقال نقد هادف جريء ... حتى بات تحليل الكتب ، الذي تنشره هذه المجلات يحفل عادة بالتقريظ والثناء ، ولا نجد فيه مجالا للناقد الجريء الذي يقول كلمة الحق بوحي من ضميره ، لا يدفعه اليها حب او غرض ، ولا يحثه عليها بغض او كراهية او حقد . فما هو سبب هذا النقص في ادبنا المعاصر . وما هي نتائجه ؟ .. وكيف نتلافاه ؟

في اعتقادي ان الناقد القدير الكفؤ يجب ان يكون على جانب كبير من الثقافة والاطلاع والمعرفة فاذا قرأ الناقد مثلا كتابا عن تاريخ القصة وتطورها ، فلا يجوز له ان يتناول هذا الكتاب بالنقد ، اذا لم يكن ملما كل الالمام بتاريخ القصة ، مطلعا كل الاطلاع على تطورها وفنونها ومذاهبها .

كذلك لو اراد كاتب ان ينقد بحثا عن الادب الفرنسي او الانكليزي ، او اي ادب اخر ، فعليه قبل كل شيء ان يكون ملما بالموضوع الذي يريد نقده ، متتبعا احداثه وتطوره . فاذا ما اقدم الناقد على الكلام عن بحث او كتاب من هذا النوع ،وكان خالي الذهن من الموضوع ، غير ملم به ، جاء نقده اما تقريظا مملا او كلاما سطحيا لا روح فيه ولا حياة . ومن هنا نرى ان مهمة الناقد ، الذي يريد ان يكون ناقدا بالمعنى الصحيح ، غاية في الصعوبة ، لذا يبتعد معظم الناس عن النقد الموضوعي العميق ، لانه يكلفهم جهدا ووقتا ، ولا يضيف في الوقت نفسه الى اثارهم الادبية او الفكرية اثرا ذا قيمة .

حتى العالم المتتبع يزهد في النقد ، لانه على الغالب ، يخشى الخوض في نقاش ادبي ، قد يبدأ هادئا لطيفا ، ثم يتطور الى عداء وخصام مع المنقود ، لان اعصابه لم تحتمل كلمة ، ولا يرغب بأن يظهر احد خطاه ، او يدله على عيبه .

من اجل هذا ضعف النقد ، وقل الناقدون .

اما نتائج هذا النقص في ادبنا المعاصر ، فماثلة للعيان في كل بلد وفي كل مجال ، وهي كما قلت افساح المجال امام الدخلاء والمتطفلين على الادب ، اذ لم يعد

تعال هادئا

وتفلت مني الطريق وتناى
وفي كل يوم يقل خطاي
وابصر وجهك في كل وجه
ويبقى انسرابك في شعورا

ويصفر عام ويخضر عام
قطار ويفلت مني الزمام
ويبقى الرماد يلف الضرام
يساكنني عبر كل زحام

اذا يا صديقي خطرت ببالي
وكن هادئا كاليقين ، واقبل
فحين يحس بك الاخرون
سيهرب ذكرك من خاطري

تعال خفيفا كريشة طائر
كومضة نور كاشراق خاطر
برفة هدب وتسريح ناظر
ويرتد طرفي كان لم يسافر

دمشق — سلافة العامري

واحدهم يحسب حسابا للناقد ، الذي يمحص ما يكتبون ويلقي عليهم عصا موسى ، لتلقف ما يأفكون .

لقد بات المجال رحبا فسيحا ، واسعا ، امام كل اديب ومتادب ، وكل دخيل ومتطفل ، فاختلط الحابل بالنابل ، وصار من الصعب ان يميز القارىء العادي ، ولاول وهلة ، الادب السليم الدسم ، من الادب الزائف الاجوف ، فتقاعس الادباء الحقيقيون ، وتزاحم الدخلاء على المنهل ، الذي يبدو لهم عذبا ٠ وكيف لا يكون عذبا بالنسبة اليهم ، وهو يمدهم بالشهرة ، وذيوع الصيت، ويفرضهم في دنيا الادب ، حملة اقلام ، ورجال فكروعلم وفضل وادب ؟

لقد تراجع الادب العربي المعاصر ، نتيجة فقدان الناقد الاصيل . ولسنا ندري الى متى يستمر هذا التراجع ، وهذا الفراغ الكبير ، الذي تركه خلو الميدان من النقد والناقدين .

اما كيف نتلافاه ؟

كيف نتلافى خلو الميدان من الناقد الحر ، فأمر لا يخلو من صعوبة ، وهو لا يتحقق الا بقيام صحافة ادبية ، تجعل دأبها قول الحق ، وتشجيع طائفة من الكتاب والناقدين على نقد الاثار الادبية بكثير من الجراة والنزاهة والتجرد ، وقيام كل مجلة ادبية بتكليف احد كبار كتابها بنقد ما ينشر في العدد السابق فيها من مقالات وقصص واشعار .

ان هذا السبيل شاق وشائك ، لانه يخلق المتاعب امام اية مجلة او جماعة يحاولون ذلك ، لانه ينفر الكتاب من المجلة ، ويخلق لها المتاعب والازمات ، ولاسيما ان كثيرا من مجلاتنا الادبية تنشر الاثار الفكرية ، دون ان تدفع اي تعويض او مكافاة الى الكتاب . وانصراف هؤلاء الكتاب عنها ، يوقعها في ازمة كبيرة ، لا قبل لها باحتمالها والصمود امامها . ولا بد لتلافي هذه الازمة من قيام جماعة من الكتاب يجردون اقلامهم متكاتفين على أساس النقد الحر ، دون خصام أو (زعل) او عتب .

فهل تستطيع صحافتنا ــ الادبية بوجه خاص ــ ان تواجه مثل هذا التيار ، وتقوم بمثل هذه المحاولة في ظرفنا الحاضر ؟ احسب ان الجواب لا .. والف لا ٠٠ مؤقتا على الاقل . والى ان يتهيأ لنا قيام الناقد الجريء ، وجو النقد الخالص الهادف ، علينا ان نصبر على تخلف ادبنا، ووجود المتطفلين والدخلاء في صفوفه .

بقي ان اقول في فوائد النقد الجريء والناقد الواعي ، ان الاديب الصحيح ، عندما يشعر بوجود الناقد، يحاول دائما ان يرتفع بنتاجه الفكري ، ويتلافى كل خطا كي ينجو من قلم الناقد ، وهذا ما يدفع بالادب الى الامام ، ويجعل الافكار التي يدلي بها الكاتب اكثر صحة وسلامة .

اما الناقد فمن واجبه حين ينقد ان يترك شخصية الكاتب ، فلا يتناولها بخير او شر ، بل عليه ان ينقد الاثر الفكري بمنتهى التجرد ، ودون النظر الى شخصية الكاتب . اما الكاتب ، واقصد الكاتب العربي الصحيح فعليه ان يتقبل النقد بصدر رحب ، وان لا يضيق ذرعا به ، وان يشكر الناقد على نقده ، متى وثق من حسن نيته ، وسلامة هدفه . وقديما قيل : رحم الله امرءا اهدى الي عيوبي .

وبعد فعلينا ان نثق جميعا كتابا ونقادا وقراء وناشرين : بان النقد الصحيح لا يهدم الاديب بل يرفعه ، ولا يحطم الاديب ، بل يبني له مجدا .. وما يتحطم الا الادب الزائف .. والاديب الدخيل .

دمشق — عبد الغني العطري



بقلم سمير وهبي



في حديقة منزلي شجرة شامخة .. عمرها في مثل عمري .. لها فروع قوية وعالية تضفي عليها هيبة ووقارا .. ولا انظر اليها الا واشعر بالخشوع يعتريني . انها شجرة باسقة تحملت مثلي الكثير من عواطف الدنيا ومتاعبها .

وتعودت في السنوات الماضية ان اراقب تلك الشجرة وان اطالع بوادر الربيع على اغصانها . وكان الفرح يغمر قلبي عندما ارى فروعها تنتشي بالورق الجديد .. وظلت شجرتي لا تخلف وعدها .. فلا يأتي الربيع الا وتكتسي بأوراق خضراء جديدة تكسبها جمالا وبهجة .. فاشعر بالسعادة تغمرني وانا اراقب زحف الحياة على الاغصان .. ذلك الزحف المقدس الذي يغسل الشجرة من ادران الشتاء القاتم .. ولم اكن ارى هذا المشهد الا وتنتشي روحي وتزول متاعبي .. فتتجدد نفسي بالتفاؤل والبشر .

كنت ارى .. في اول الامر .. البراعم الجديدة تتلون بلون وردي جميل سرعان ما ينقلب الى لون اخضر باهت .. ولا تمر ايام حتى تكون تلك البراعم قد تحولت الى ورق اخضر زاه . ويظل اللون الاخضر في زحفه الحثيث حتى ينتشر على كل الاغصان .. فيكسوها تماما .

وظللت على تلك الحال سنين وانا ارى الشجرة .. في كل ربيع .. تكتسي بالخضرة .. فيطرب قلبي وتغمر روحي نشوة عارمة وتتجدد بالامل والتحفز .

وليت الامر استمر على هذا المنوال . وانما لاحظت منذ سنوات ثلاث .. ان الشجرة لا تورق ولم اعرف سببا لذلك . ولم اعد افكر كثيرا في امرها .. لاني كنت حزينا على وفاة خطيبتي . وخيل لي حينذاك ان الطبيعة ارادت ان تشاركني احزاني . فأضربت حدادا معي . كنت أعيش للحزن .. كنت تائها في دوامة جبارة من الحزن ... كنت انشد واقول :

انا احيا في اوهام
يرافقني الشعور بالضيق
انا أصحو كل صباح
واقول ... مرحبا بالحزن
والطريق الذي اسير فيه
هو طريق الاحزان
انا لم افقد حبيبا وحسب
لم افقد شيئا يملأني بالالم
بل الذي فقدته هو نفسي كلها
ابتسامتي مجردة من الضحك
وقبلتي لا يحدوها الحنان
فانا مخلص .. لحبيبي ...
المر .. الحلو ... الحزن

كنت اتلفت حولي .. فلا اجد الا الاحزان .. نوال خطيبتي ماتت في ريعان شبابها . نادية ابنة عمي التي نشأت معها وشاركتني طفولتي وصباي .. اصابها المرض في ساقيها فاقعدها عن الحركة .. وحتى اطياني .. بدأ البنك العقاري ينتزعها مني تسوية لديون قديمة ثقيلة ..

كنت أعيش للحزن .. بيد أني ارى الناس من حولي يدبون في الحياة في مرح .. وكأنهم لا يأبهون لمتاعبي .. وكان امري لا يعنيهم .. يتكلمون عن مشاعر لا احس بها . وفي كل يوم اقابل اناسا كثيرين .. ولكن واحدا منهم لا يحرك وجداني ولا يثيرني قط ..

حتى نادية الرقيقة .. كانت لا تثير في سوى شفقة فاترة وشعورا كاذبا بالحب .. ومر عامان والحالة لا تتغير ..

وحل العالم الثالث وانا على انطوائي وزهدي .. ولم اجد عزاء لقلبي .

وفي ذات يوم من ايام الربيع الماضي .. نزلت الى الحديقة واقتربت من صديقتي الشجرة وآلمني ان اراها عارية من الاوراق .. ومررت بيدي على لحائها .. وحز في قلبي منظرها وهي جرداء .. وخيل الي انها كشخص اصيل اصيب فجأة بنوائب الزمن .. فانصرف عنه الاصدقاء .. وظل وحيدا يبكي سوء طالعه . ونظرت اليها نظرة فاحصة ولمست كبرياءها من خلال اغصانها العارية المتشامخة .

ولما اقترب البستاني مني .. سألته عن حالها .. قال لي :

ــ لا فائدة من تلك الشجرة يا سيدي .. انها ماتت .. الا ترى اغصانها قد جفت وذبلت .. لا بد من قطعها ..

وحز كلامه في نفسي . ولكني لم ايأس وانما رأفت بحالة تلك الشجرة الباسلة التي عاصرت حياتي ، وطالما استلهمت منها الراحة في ايام الشقاء .

ومرت ايام .. رأيت بعدها البستاني يحفر حولها حفرة لاقتلاعها فاقتربت منه وهو منهمك في عمله وسمعته يقول لي :

ــ يا سعادة البيه .. لقد ماتت الشجرة ولم اعد ارى سوى جذر واحد .. انه جذر وحيد ضعيف ما زال يربطها بالحياة ..

ولما اتم كلامه .. امرته بان يسوي الارض حول الشجرة وان يعدل عن اقتلاعها .

ومضى يوما وانا افكر طول الوقت في امر تلك الشجرة الباسلة . وبرزت امامي حقيقة واضحة لم استطع

اخفاءها .. هذه الشجرة شبيهة بي.. انها بدات في الذبول يوم ماتت جذورها .. تماما كما مات قلبي يوم توفيت خطيبتي . ان الشجرة لم يعد يربطها بالحياة سوى جذر واحد دقيق . وهي مثلي تماما .. مثلي انا الذي لم يعد يربطني بالحياة سوى امل فاتر .. هذا الامل هو حبي المبهم لنادية .. تلك الفتاة التي تحبني وتدعو لي دائما بالتوفيق في حياتي .. ولكنها لا تجرؤ ان تبادلني الحب .. ربما بسبب عاهتها .. او لمجرد شعورها باني احترم ذكرى خطيبتي وانها غير جديرة بان تحتل مكانتها السامية في نفسي..

وتضاعف انطواء نفسي مع مرور الزمن .. وانقطعت صلتي بكل الاصدقاء والخلان وانكمشت علاقاتي تدريجيا مع الناس . كنت شبيها بشخص جبار تحالفت عليه النوائب وترادفت عليه المحن.. حتى احاطت به احاطة السوار بالمعصم.. فتحملها زمنا وهو غارق في غياهبها .. ولكنه عليم بقوته وقدرته .. عارف بانه يستطيع ان يزيلها وقت يشاء.. لكنه مل الكفاح وعلا الصدا نفسه من جراء موجة يأس تعالت عليه واغرقته في لجتها . ففترت همته وتبددت نفسه شعاعا حين رأى حبه يضيع

كنت كمن هدم الجسور وراء ظهره واستمر في سيره الحثيث الى الامام ... لا يلتفت خلفه قط .. وظل يسير في دربه المجهول صامتا .. وحيدا .. هائما .. ضائعا .. لا يبالي بمن تضعهم الاقدار امامه من الناس.. بل كان يتجاهلهم تصغيرا لشانهم اويكرهم تنفيسا للحقد الذي عمر به قلبه.

ولمست انانيتي البالغة .. وطفقت افكر في الماضي .. ذلك الماضي المؤلم الذي افعم قلبي بالحقد والانانية.. وظللت اياما والنوازع تتجاذب في داخلي وتكتسح امامها كل شيء .

وما زالت هذه الاراء تعصف بنفسي وتتطاحن داخلها .. تشدني الى الماضي في شدة وعنف .. ولكني اشعر في نفس الوقت بافكار جديدة تتمخطر داخل راسي .. انها اراء تريد ان ترى النور .. وتؤلمني عند ولادتها .. كنت اشعر بان هواء جديدا دخل نفسي.. وساعدني ان انضو لفائف الابهام عن آرائي الوليدة.

وبعد ايام غمر الفرح قلبي عندما رايت الشجرة الباسقة قد اينعت.. ابتدات براعمها في الازدهار .. دخل الهواء الى جذورها عندما قلب البستاني التربة من حولها وتدفقت الحياة فيها من خلال الجذر الوحيد الباقي. وانتشت الشجرة ودبت فيها الحياة بعدما تخلل الهواء الى جذورها .. تماما كما دب التحفز في نفسي بعدما عرضتها للتهوية . وشعرت بحالة انتقال .. من الانطواء الى التفتح . كنت اقضي وقتي صامتا .. فارتفع الان صوتي بالغناء. وحتى همومي ومتاعبي انزوت في ركن من النسيان .

ومضى اسبوع .. وفي ذات صباح .. رفعت عيني الى الشجرة .. ورايت الورق الجديد يزحف على اغصانها الجرداء .. فدق قلبي بشدة وانا في جذل بالغ ان هذه الشجرة سوف تورق من جديد .. وسوف تأتي اليها الطيور من جديد لتبني اعشاشها بين الاغصان وتحتمي بها من عوادي الزمن.. فماذا يمنعني ان اكون مثل تلك الشجرة الظليلة التي تأوي الطير على اغصانها الرطبة وتحتضنها في حنان ومحبة .

وبدات اهتم بالناس .. وسالت البستاني عن زوجته المريضة وعن ابنته المتزوجة وحتى ناظر العزبة المتجهم .. انصت اليه وهو يحدثني عن مشاكله وعن مستقبل اولاده واحدا واحدا .

وحتى الاشياء المحيطة بي رايتها تكتسب الوانا جديدة تبدو مثيرة في نظري. كنت اقفز في مشيتي شأن من يكون مسرعا ملهوفا ضائقا بنفسه وبالناس . ورايت نفسي امشي في تمهل وبطء وادقق في الاشياء الصغيرة .. فاكتشفت جمالها المختفي وراء مظهرها .. العادي.

هكذا ظللت اعيش ثلاث سنوات وقلبي مغلق .. لا اهتم بمن حولي.. ولا عجب ان رأيتهم يهجرونني الواحد تلو الواحد .. خلت نفسي وحدي في مركز الكون .. ومتاعبي كالنجوم تدور في فلكها . وخطيئتي الكبرى اني ضخمت مشاكلي حتى اصبحت تستغرق حياتي كلها . فضاق افقي وانقبضت معالم الدنيا امامي.

ورفعت عيني الى الشجرة الطيبة. ورايتها ابدا تعطي ولا تطلب .. تجيد العطاء دائما .. وان ظلت عارية من الاوراق .. تهب ظلها للناس وتمنح الدفء للطيور لتبني اعشاشها على الاغصان .. تصمد دائما لنوائب الزمن ولا تلين .. وعندما يجيء الخريف بانوائه تتعرى اوراقها وتسقطها في كبرياء وانفة ولا تبالي كثيرا باحزانها . وذلك لانها تعلم علم اليقين ان الحياة اخذ وعطاء .. وان الربيع لا بد آت .. ولما رفعت نظري اليها .. ازدهر الامل في نفسي . اليس الامل يأتي حتما بعد اليأس تماما كالنهار يسطع بعد الليل البهيم ؟! هكذا الحياة ..خضرة يانعة .. ثم اوراق متناثرة ..شجرة مكسوة ناضرة .. ثم جرداء عارية.. والحياة لا تسير على وتيرة واحدة. اليست علوا فانخفاضا ؟! هي امل ويأس .. حب وكراهية .. ولاتظل مطلقا على منوال رتيب .

وفي عصر ذلك اليوم .. زرت نادية وحدثتها طويلا . ولما تركتها رايت عينيها تلمعان من السرور ..

شيء جديد حدث لي !! شعرت باني ولدت من جديد .. وان دماء جديدة دبت في عروقي .. كنت كمن وقع عقدا جديدا مع الحياة.. كنت الى زمن بعيد اشعر باني «موجود» في الحياة ولكني لم اكن « اعيش » وجودي هذا ... ثم اتاني هذا الشعور باني ولدت من جديد .. فاصبحت الحياة بالنسبة لي مغامرة طيبة جديرة بان اجربها وامارسها .

ثم عاهدت الله .. ان ارعى نادية بالحب .. تماما كما ترعى الشجرة طيورها بالظل . كانت فتاتي تصطنع الشفقة لتستجدي الحب . وعرفت حاجتها المتهافتة الى من يحبها ويثق فيها . كانت في حاجة الى قلب كبير يحبها حبا لذاتها ، لا شفقة بها او عطفا عليها ..

لقد عاش كلانا وحده .. في دوامة عاتية .. عاش كلانا .. هي وانا .. حتى اليوم حياته اقساطا منفصلة .. متتابعة .. لا رابط بينها ولا اشتراك .. لقد سبق لي ان عرفت منذ زمن سحيق ان الحياة ليست جديرة بان تعاش بدون حرية اصيلة تنبع من اغوار النفس ، والا فالعدم انفع واجدى . ومنذ حين ليس بقصير .. ادركت ببصيرتي ان حياتي سوف يتحدد مفهومها عندما اخوض غمار الحوادث .. عندئذ سوف اتعرف على اركان حريتي واتفاعل مع محيطي وتحتك تجاربي مع تجارب سواي . عندئذ سوف اكون انسانا بصيرا لا مجرد «شيء» تتقاذفه امواج الحياة . فالامر كله بيدي ..

كنت نسخة متكررة من الناس العاديين الذين لم يستطيعوا ان يرتفعوا الى مسؤولية الحرية . كنت مثل الالاف المؤلفة الذين يجيدون الاخذ ولا يعرفون العطاء .. يدخلون الحياة ولا يريدون دفع الثمن .. يدخلون فيها مشترين فيها بشيكات لا رصيد لها .. فيعيشون في خداع ومراوغة وتدليس ودفاع كاذب .. يجيدون الهرب ونصب الشراك في حيلة وذكاء .. اناس عاديون .. نسخهم واحدة متكررة .. موصومة بالقلق والزيغ .

كنت قلقا في حياتي .. لان طريقي كان مسدودا .. اغلقه الحقد والتذمر .. وعندما ماتت نوال .. حقدت على السعداء واجتاحت نفسي عاصفة هوجاء من الرعب والهول .. واصبحت حياتي التي كانت تحسب في الماضي بالايام والساعات .. سلسلة متصلة الحلقات من الخطوب والاحداث . وكيف اصبحت الان ؟..

عندما تحدثت مع نادية شعرت بأمل جديد جعل نفسي تصحو من سباتها .. رأيت فيها الجذور الذي يربطني بشجرة الحياة .. واصبحت الدنيا جميلة في نظري ... الكون الواسع تملؤه ابتسامتها .. حتى لكأني اتنفسها مع نسماتي واكلها مع طعامي واشربها مع شرابي .

وطربت نفسي للامل الذي فتح امامي بابا لكي اتدارك انسانيتي المبتورة ورأيت في نادية نداء لكي أسمو بنفسي المتهافتة وتمثلتها دعوة ملحة للخير .. كاستغاثة او ابتهال يناديني في ضراعة لاجعل الحياة جميلة وجديرة بأن تعاش . وحمدت ربي لانه وضع في طريقي فتاة انسانة .. رفعتني الى مستوى عال من الفهم والادراك .

وفي صباح اليوم التالي .. ذهبت الى شجرتي الباسقة استوحيها المزيد من الحكمة . وخفق قلبي وانا ارى الطيور تحتمي بها . وخيل الي وقتئذ ان قوة الشخص لا تقاس بمدى المحبة التي تشع منه .. انها قدرته ان يعيش بدون حقد وبدون جشع فياتي الناس اليه دون وجل .. ليصيبوا شيئا من الراحة والعطف والطمأنينة .

ونظرت نظرة فاحصة مدققة الى اوراقها اليافعة الوليدة .. ورأيت بعضها ذابلا اقرب الى الجفاف .. وفهمت السبب .. كانت الشجرة عطشى تحتاج الى الري ،وادركت ان الانسان لكي يهنأ محتاج الى قدر من الفهم والحب .. تماما كالشجرة لكي تنمو وتورق .

وقبل ان اترك الشجرة قربت يدي من لحائها وصافحتها بكفي .. كنت اشعر نحوها بنفس الشعور الذي يحس به الصديق حين يلمس راحة صديقه ويشد عليها ليشعر بالشكر والامتنان .

وفي المساء صارحت نادية لكل تلك الاكتشافات المضيئة . ولما احتويتها بين ساعدي .. خيل الي ان يدي قد تحولتا الى اغصان قوية وقد التمست الطيور الدفء والرعاية في ثناياها ..

وومض في ذهني بريق من النور الوهاج اتاح لي ان ارى عالم الضمير والوعي السامي . انه عالم شاهق الارتفاع كأغصان شجرتي الباسقة . وعرفت الحياة المليئة بالادراك الذي يملأ فؤادي بالتسامح ويجعل قلبي يفيض بمحبة كل البشر .. دون تمييز او استثناء او حقد .. لقد تم التحول ..

بدات المعجزة يوم حنوت على الشجرة واتحت لها فرصة لتعيش . فنمت وتنفست . يومها ذابت ثلوج الحقد من قلبي .. كنت انشد في الماضي واقول :

النواميس قضت ان لا يعيش الضعفاء ان من كان ضعيفا اكلته الاقويا .

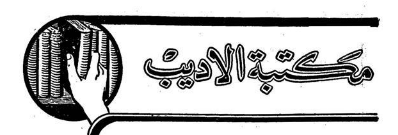
★

واليوم تحولت عن عقائدي القديمة ودعوت نادية الى مشاركتي في الحياة وحولت نظرتها الجافة الى اشراقة جميلة بديعة .. صادقة الاحساس .. وجعلت منها كوكبا يدور حولي ويؤثر على وجداني بجاذبيته .. ستكون نادية الشمس التي استمد منها حرارة حياتي ونعمتها . ان الشمس تشرق وتغرب والقمر يطلع ويغيب والكواكب تسير في افلاكها .. والان اصبح لا يهمني في قليل ان يبزغ النهار او يهبط الليل . فالشمس والقمر والليل وسائر المخلوقات كلها توارت بالنسبة الي ولم يبق لي في الوجود سوى نادية ...

وافترقنا في هذه الليلة وذهب كل واحد منا الى سبيله .. وفي الليل خدعتني الاحلام البريئة ووضعت نادية على مقربة مني وسط الحقول الخضراء واغرتني بطبع القبلات على يديها .

وعندما تفقدتها بجانبي بعد هذا الحلم السعيد وبسطت يدي لاحتويها لم اجدها .. وانما شاهدت من خلال النافذة شجرتي الباسقة .. ففاض قلبي بالسرور وتأكدت ان شتاء حياتي قد انقضى الى غير رجعة ...

مصر الجديدة سمير وهبي



اصول مذهب الامام احمد

تاليف الدكتور عبد الله عبد المحسن التركي - ٧٥٠ صفحة - مطبعة جامعة عين شمس بالقاهرة

في اسم هذا الكتاب الحافل تواضع ينكر حقيقته ، لان الكتاب لا يتحدث عن اصول مذهب الامام احمد وحده ولكنه يقرن هذه الاصول بغيرها من مذاهب الائمة ، وهو بذلك دراسة شاقة في حقل كبير يتطلب العمل الجاهد ، وقد وفق المؤلف في كدحه الشاق حيث نال اعلى الدرجات العلمية على كتابه اذ حصل على الدكتوراه بمرتبة الشرف الاولى من جامعة الازهر مع التوصية بطبعه وتبادل الرسالة بين الجامعات .

هذه الدراسة الشاقة قابلت صعوبات كثيرة ، لان اكثر مصادرها مخطوطات لم تطبع وقد اضطرت الباحث الى ان ينقب في مكتبات المدينة ومكة ثم يرحل الى مصر مفتشا في مكتبة الازهر ودار الكتب الوطنية ومعهد المخطوطات بالجامعة العربية ، فاذا انتهى من مصر اتجه الى المكتبة الظاهرية بدمشق ثم بذل جهده ليحصل على صور من مخطوطات العراق وتركيا ، وذلك كفاح تحدث عنه الاستاذ المشرف على الرسالة فقال في مقدمة الكتاب « لقد اتعب المؤلف نفسه واتعبني معه ، اتعب نفسه حين كان يواصل ليله بنهاره ، ويحبس نفسه في منزله الشهور الطوال بين مراجعه المخطوطة والمطبوعة التي نيفت على سبعين ومائة مرجع وقد كان بامكانه ان يريح نفسه باختيار جزء من موضوع الرسالة او مرجع واحد يقوم بتحقيقه والتعليق عليه ، واتعبني في ملاحقته فيما يكتب ويرى واشهد ان هذه الرسالة قد كتبت اربع مرات قبل ان تصل الى هذا المستوى الرفيع ، فما ان تبلغ الرسالة نهايتها حتى تجد افكار وآراء وزيادات ونقص تقتضي اعادة كتابتها وفقا لذلك .. وهكذا حتى وصلت في المرة الرابعة الى هذا المستوى » .

ولعل مفاجاة الباحث بمخطوطات جديدة تحمل الجديد مما لم يكن في حسابه كان سر هذا الكدح المتصل والمحو والاثبات ، وما اخاله الا مفتشا عن مخطوطات اخر ، لان لذة الاكتشاف لا تعادل في مضمار البحث باشهى ملذات الحياة .

وقد صدق الدكتور التركي حين قال عن الامام احمد انه الرجل المعروف المجهول معللا ذلك بان ما يجهله الناس عنه اكثر مما يعرفونه ، فهو لم يعط حقه من البحث الصادق واني ! والمخطوطات دفينة في الاعماق وتتطلب صوتا ينفخ في الصور ، لتنتشر بين الناس ، ومن طرائف ما اهتدى اليه الباحث ان بعض المطبوعات مثل كتاب « الكوكب المنير في مختصر التحرير » قد واجهه الدكتور باصله المخطوط فوجد به من النقص والاخطاء والقفزات المتعجلة ما يحتم طبعه من جديد! فاذا كان ما طبع من مراجع المذهب يتحمل هذه الاثقال فكيف بما لا يزال دفينا في الرمال !

والرسالة بايجاز تقع في ما يقرب من سبعمائةوخمسين من الصفحات وقد اشتملت على مقدمة ذات شقين ، حيث ينهض القسم الاول بتاريخ الامام ، ويبحث القسم الثاني منها اصول مذهبه كما تلتمس في كتب الاثبات ، فاذا تركنا المقدمة الى الباب الاول نجده يتحدث عن منزلة الكتاب والسنة في الفقه الحنبلي مقارنة بمنزلتهما في المذاهب المماثلة ثم تتوالى الابواب تتحدث عن الاجماع واستصحاب الحال وعن فتوى الصحابي والمصلحة وسد الذرائع والاستحسان والعرف فاذا وفت حق البحث في ذلك انتقلت الى القياس والاجتهاد والتقليد ، مختتمة حديثها بشذور جيدة عن مجتهدي المذهب واثرهم في نموه المطرد ! وذلك عرض للعناوين ، نكتفي به ، لان كتب الاصول لا يشفع فيها التلخيص ، بل لا بد من الاستيعاب الهادىء والتامل الوئيد، ، ولكن ذلك لا يمنع من ان نشير الى بعض ما امتع عقولنا من مباحث الكتاب فنقول :

لقد واجه الباحث دعوى ابن خلدون والطبري وامثالهما ممن يرون ان الامام احمد محدث لا فقيه مواجهة عاقلة متئدة ، فذكر اقوالهم في تسامح يلتمس المبررات والدوافع دون ان يشتط في المؤاخذة والايجاع، وتلك سبيل يجب ان تسلك لان بعض الدراسين في مثل موقف الباحث ينسى اتئاده ليندفع في هجوم يضر ولا يفيد ، ولكن الدكتور عبد الله التركي ذكر اقوال مخالفيه مبينا ادلتها ، ومنبسطا في عرضها دون تحيف حتى اذا الم بها القارىء دون نقص او اجتزاء مضى يناقشها في قوة، فبين ان تفوق الامام في الحديث لايمنع امامته في الفقه لان الحديث اصل الفقه ، وتوفر النصوص لديه قد اغناه عن القول في كثير من المسائل بالراي المجرد ، والخطا في الراي اكثر توقعا من الخطا في المنقول، واذا كان الامام قد قدم النص على الاجتهاد ، فليست هذه سبيله وحده بل سبيل الائمة جميعا اذ لا اجتهاد مع النص ، اما نهيه عن تدوين فتاواه ، فهو تورع شخصي لم يحل دون هذا التدوين ، بل رزق من التلاميذ من نشر علمه واذاعه بين الناس فكان مصدر نفع جزيل على ان في اصول مذهبه ما يدل بجلاء على انها اوسع الاصول في الاستنباط لان اتباعه من الحنابلة يقولون بالقياس عند فقدان النصوص كما يعتبرون فتاوى الصحابة ويقولون بالاستصحاب ويتوسعون فيه ، ويلاحظون الاعراف والتقاليد والعادات مؤكدين مصالح العباد مما كان له ابلغ الاثر في نماء المذهب ، وقد اعترف بذلك فقهاء من غير رجال المذاهب ! فكيف يكون الرجل غير فقيه !

ومن محاسن الرسالة انها تشفع كل باب بخلاصة وافية عن مضمونه، لان البحوث الاصولية تتطلب استشهادا وردا يتشعب بهما الموضوع بحيث تحتاج بعض العقول الى حصره بعد الانسياب، وهذا ما اهتم به الدكتور التركي في جميع ابواب الرسالة اهتماما يدل على ان القضايا الاصولية قد اتضحت في ذهنه اتضاحا يمنع كل لبس » وانا لا اجد الغموض في بحوث المؤلفين الا حيث تغمض الافكار في عقولهم فلا يستطيعون جلاءها للقارىء اذ عجزوا هم عن الرؤية العلمية ، وفاقد الشيء لايعطيه اما ما كتبه المؤلف الفاضل فواضح ساطع يشف عن فهم مستشف، واقتناع مكين ! على انه يوجز في الخلاصة ايجازا يقنع وتسد مسد الاسهاب الطيل ، كان يقول في ختام حديثه عن التفسير بالراي بعد ان ذكر قول القاضي ابي يعلي في حرمة تفسير القرآن بالاجتهاد ثم ثنى بمنحى ابن تيمية في حرمة القول بالراي مستشهدا بما تطلبه المقام من الحديث! اقول بعد ان كتب الدكتور الفاضل اراء اعلام المذهب بلور الحديث في خلاصة شافية تتضح من قوله .

«والخلاصة ان الحنابلة رحمهم الله يمنعون تفسير القرآن بمجرد الراي ، وبدون علم ، وهذه طريقة سلف الامة من الصحابة ومن بعدهم في تحرجهم وتشددهم في القول في كتاب الله بدون علم اما اذا كان التفسير على مقتضى اللغة فهذا ما لا يقال عنه تفسير بالراي او بلا علم فهو تفسير بعلم لان الله خاطب الامة بلغتها وكلفها بما ورد في خطابه

فلا بد من تنزيلهعلى مقتضى اللغة ما لم يرد نقل شرعي ، والعالم باللغة ووجوهها عالم بجانب من جوانب التفسير» .

قال الدكتور ذلك بعد ان اوضح ان للحنابلة رايين في جواز تفسير القرآن على مقتضى اللغة وهما روايتان عن الامام احمد ذكرهما القاضي وابن عقيل ، ثم ذكر ما يشتم منه عدم اعجاب الامام بالاستشهاد بالشعر على فهم القرآن خلافا لطريقة ابن عباس ! ولم يقف الدكتور عند ذكر الروايتين بل رجح القول بالجواز معللا لذلك ، فاذا بسط الحديث عن التفسير بالراي كان متفقا مع منطقه اذ حكم بالخضوع لمعاني اللغة في التفسير، لان القرآن قد نزل بلسان عربي مبين.

وللمؤلف ذوقه المرهف في اختيار اللفظ والمحاسبة عليه ، فحين نقل قول الشاطبي في الموافقات " ان السنة قاضية على الكتاب وليس الكتاب بقاض على السنة ، كانه لم يسترح ذوقيا لكلمة قاضية على الكتاب، ففسرها بما يقصد الشاطبي منها ثم اتبع ذلك بقوله « وقد استبشع الامام احمد هذه اللفظة فقال عنها : ما أجسر على هذا! وحين اضطر الى مخالفة الشوكاني في قول الصحابي لديه نقل ما قاله بلفظه لم يخرم منه شيئا ثم نفس عن ضيقه من بقوله « وهذه الحملة المسعورة من الشوكاني سفسطة خطابية لا تمس الجانب الموضوعي للمسالة الذي كان يجب توجيه الحملة اليه ! ولم يزد شيئا ، اذ آثر الحديث عن المقول لا القائل ، وهو الصواب .

اما ما يحتط للمؤلف في ميزان التقدير ، فهو احاطته بما اصطخب لدى المعاصرين من تيارات اصولية تماوج وتصطخب ، فخاض العباب واياهم بشجاعة باسلة، بل قد اضطر الى معارضة الفطاحل منهم في اكثر من موقف ، واستشهد في هذا المجال بحديثه عن الطوفي والمصالح المرسلة ، اذ واجه من اعلام الفقه علماء كبارا مواجهة تستند الى المنطق ليحكم بان القائلين بالمصالح المرسلة لم يتولوا بها مطلقة دون اشتراط بل اوجبوا ان تكون فيما لا نص فيه أو اجماع ، وبخاصة لدى الحنابلة الذين يجعلون النص في المرتبة الاولى دون نقاش ، وقد رجع الى احدث ما كتبه فقهاء العصر كجمال الدين القاسمي وابي زهرة وخلاف رحمهم الله ، واذا كان غير المؤلف قد هاجم الطوفي واتهمه في عقيدته ، فان الدكتور الفاضل ، قدسلك التي هي اقوم حين قال « ومهما قيل فيدوافع الطوفي فيما كتبه فقد قدم الى ما قدم وهو مجتهد ، سواء اصاب ام أخطأ » ولك ان تقرن هذا الاعتدال الهادىء بما قاله الاستاذ محبالدين الخطيب عن الطوفي لترى البون البعيد !!

ويخيل الي ان الرسالة قد طبعت في مصر في غيبة المؤلف حيث لم يقم على تصحيحها المطبعي اذ بدت اخطاء رقمية في سنوات الوفاة الخاصة بالنظام والخليل والعلاف فهي في صفحة من الكتاب غيرها في صفحة اخرى ولا بد من الاتفاق فيها على رأي .

وكم كنت اتمنى ان يتسع الوقت للاشادة بمجهود علمي نال اعلى الدرجات الجامعية عن جدارة ممتازة، وهو في طبعته القشيبة يدعو الى القراءة لدى من يهتمون بالعمق المتريث ، والغوص المثابر ، لياتوا بكل مبتكر سديد .

الرياض ـ كلية اللغة العربية — محمد رجب البيومي

●

جـدران الصمـت

شعر رمزي ـ لمحمد العامر الرميح ـ ١٧٦ صفحـة ـ الغلاف والرسوم بريشة نبيل قـدوح ـ منشورات مجلة الاديب ـ تصميم وتنفيذ دار الخواطر ببيروت

قارىء « جدران الصمت » للدبلوماسي السعودي محمد عامر الرميح لا يمكن له عبر ما يقرا ان يفصل المصور عن المصور ، او ان يعزل البنية



لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٨ ليرة لبنانية

●

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ١٠٠ ل.ل.

●

في الخارج العربي : ٤٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي
٨٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي
في سائر الاقطار : ٢٠ دولارا بالبريد العادي
٤٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار :

في لبنان وسورية : ٥٠ ل.ل. كحد ادنى

في الخارج ٨٠ ل.ل. او ٤٠ دولارا كحد ادنى

●

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

●

الادارة : ٢٢٣٨١٩ — Dle : 225139
المنزل : ٢٢٥١٣٩ — Dir : 223819

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

●

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البيـر اديـب

عن الباني او ان يسلخ تعبيرية الشعر عن روحية العصر .

فـ «جدران الصمت» تجربة وجدانية لاديب مجدد مطبوع يقول «أعطني الفكرة الجميلة والصورة الجميلة والتجربة الصادقة في أي لون من الوان الكلام لاقول لك : هذا شعر» «فالشعر فكرة وصورة وتجربة وليس هندسة وتخطيطا» ومن هنا «فليس هناك شعر عروضي وشعر حر بقدر ما هناك شعر جيد وشعر رديء» .

«فالشكل التقليدي للقصيدة العربية جاء مناسبا في حينه لحياة الشاعر الجاهلي ولتجارب عصره وينبغي علينا نحن ايضا ان نبتدع لنا اشكالا تتناسب وواقع حياتنا وتجارب عصرنا» «فالشعر الحر ليس نثرا فهو يحتفظ بجميع خصائص الشعر القديم باستثناء التقيدبالتفاعيل المتعارف عليها عند العروضيين» (١) ، من منطلق هذه المعايير اذنصيغت «جدران الصمت» لمحمد العامر الرميح مع ان صاحبها متربع فوق ناصية الشعر العروضي سدة ولا اعلى فهو من يمتلك من شفافية الشعر المقفى مثل هذا القول:

لا يا اخي ... لا ... حسبنـا　　ان سكـارى من رحيق الخيـال

اني هنا مثلك يـا صاحبي　　احيـا كاني بين أهلي غريب
الشوك والحرمـان في راحتي　　وليس في الاحشاء غير اللهيب

بل انه هو من تستقيم له ملكة الطبيعية والعفوية الشعرية المرتكزة الى عمود الشعر الموزون في قوله :

فامـض وغنّ للربى والتـلال　　وللدجى حتى يبين الشفـق
واملا بانغـامك كاس الليـال　　واشفق على قلبي ان يحترق

فاخذه بتلك المعايير التي شاءها في تحديد ماهية الشعر في «جدران الصمت» والتزامه بنواميس تعبيريتها الميزة ليس هو اذن وليد قصور او عجز عن ارتياد آفاق الجرس والدفة الموسيقية التقليدية ، لا ولا تنكب عن محاكاة روائع الشعر التقليدي المعروفة ولكنه عطاء شاء ان يلبسه رداء العصر فيتكلم لغته ، ويعبر عن هيناماته ، ويتقمص تصوراته واحاسيسه في الفيض وفي التعبير وفي الانفعال وفي الاداء المرسل المتحرر من كل قيد ومن قيد التقليد في المقدمة .

فعطاء محمد العامر الرميح في «جدران الصمت» وفي الاطار الذي تجسد ليس غير التوكيد على فعل اختمار الاطلاع الفاج بالتجربة وبالمعاناة ، وليس غير البرهان القاطع على قدرته على العطاء في أيلون من الوان الكلمة المشحونة المتوقدة التي تتفجر بالزخم وبالتالق لتكون الكلمة السلسة المستساغة التي تدخل القلب بلا استئذان حتى ولو بالف الف صورة من صور القلق الفاضب :

استمع الى قوله من قصيدته «جدران الصمت»:

الزمـن المسعـور ...
من غـير ما رحمـة ...
يـدور ... يدور ... يـدور

او الى قوله من قصيدة «المدينة المخيم عليها الصمت» :

وسادفنك يا صمت ...
في اعمـاق هـوة ...
وسينسى حتي التـاريخ .
انك خيمت هنا يـومـا
فوق سماء مدينتنـا البيضاء
فـوق سماء مدينتنا الحـلوة

واستمع اليه في قصيدته «اموت وحيدا» :

وحيـد انـا .
اعيش هنـا .
في غرفة موحشـة معتمه
الشمس لا تزورها ولا زارها ابدا نهار
١٠ طالما انتظرت بصيص نور فيهـا

من كـوة في حافة الجـدار
لكنمـا ياكلني الانتظـار
يمتص دمي... يحيـل عالمي
الى عواصف ترابية ... ونـار

فتعابيره ابدا لا تفارقها الرنة الموسقة مثل قوله :

ودمـوع الاعين والعـبرات
تتحـول ... الى ضحكـات
ويحطم قمقمه العمـلاق

او قـولـه :

وتكشف اسرارنا المبهمـه
ونحتـار من أي درب نعـود
وكيف السبيل لحطم القيود

اما الصور التي ترسمها تلك التعابير فهي تبلغ في ايحائها مرتبة التواصل الذي يولد من الصورة الواحدة عالما مليئا بالرؤى ، ودنيا تزخر بالحيـاة .

هنـاك ... وراء الظلام العميق
كاني أصيخ لوقع خطى
وهمس شفـاه
تبعثرها الريح بين الشعـاب
وتنثرها في حنايـا الطريق

كانمـا ابصر في عمقـه
ظـلال شبح
تمر امـامي كحلم بعيـد
كحلم تـوارى ... توارى ومـات
ولكن اطيـافه لـم تزل
تثير بنفسي شتى الذكر
وتفـمر قلبي بشتى الصـور
وترسم لي ذكريـات الصغـر

ما من شك في ان من يقرا الرميح في «جدران الصمت» اذا ما تأتت لذلك القارىء قدرة سبر الاغوار البعيدة للصور الشاعرية المشلوحة عبر كل عبارة ، فانه من حقه ان يقارن بين جمالية الصورة في صياغتها الحرة وبين جمالياتها في اطار العروض ولو كان عليه قبل ذلك ان يسمع الاستاذ الرميح وهو يقـول :

«الشعر العربي لن يصل الى مرتبة عالية ما لم يتجرد الشعراء نسبيا من الارتباط بالقديم ذهنيا وفكريا وما لم يتخلصوا من عبودية الفذلكة والبهرجة والتزاويق البيانية المعقدة .

فالشعر العربي سيبقى اقليميا طالما ان الشعراء ينظمون بروح جرير وبشار بن برد وابن زيدون وليس بروح العصر الذي يعيشون فيه» (٢).

اما النتيجة التي ستستقر عليها تلك المقارنة في النهاية فتظل وقفا على قابلية التحسس بالانفعال وبالمعاناة وبقدرة ما اعطي على تحريك ملكة الاكتناه وهزها وتحريضها على ان تحلق في عـالم المراد للصورة المعبرة .

فرمزية الشاعر الاخذة بالمذاهب الشعرية الحديثة هي محطة يمكن لكل دارس فيها ان يستريح ليحمل ما راقه منها .

ففي قدرته ان يغرف منها الشعر وهو ينقده وفق معاييره المستقلة وفي مستطاعه ان ينهل منها العبارة الجزلى الموسقة التي تنقلت من

---

(١) الشواهد للشاعر محمد العامر الرميح من كتابه النقدي «قراءات معاصرة» .

(٢) من كتاب «قراءات معاصرة» للشاعر محمد العامر الرميح .

الاطر والمحاور الى اطار التعبير ومحور المعاناة . ولكنه لن يكون في مقدور أي دارس او قارىء ان يمر بـ « جدران الصمت » دون تأثر او تفاعل مهما اختلفت نظرته الى الشعر والى الكلام المنثور .

ولا شك ان من قدر له واطلع على « قراءات معاصرة » للاديب الشاعر والدبلوماسي السعودي لا بد له وان يعرف من اي بحر زاخر بالثقافة وسعة الاطلاع اغترف محمد العامر الرميح صوره الشاعرية في « جدران الصمت » ومن اي التجارب والتفاعل صيغت تلك الاضاميم التي تعكس مع كل حرف وتطرح مع كل كلمة وتعرض مع كل عبارة موقفا في الحياة يحض على التأمل الطويل .

ولا غرو فـ « جدران الصمت » تزخر بالشهي الشهي من الثمار الدانية القطوف وتضج بالموحي من الصور الشاعرية البليغة التعبير وتنضح شمولية المعاناة على صعيد التشبع الواعي للمحيط الذي يعملق المرتجى ليدفع بالواقع الى ان يحاكيه توثبا وتطلعا .

فمن رمزية « جدران الصمت » تتفجر الصور التي تحكي عن اي شيء وعن كل شيء لانها فيض من اعمق اعماق ذات الشاعر الاديب محمد العامر الرميح المفروسة في كل الاحداث وفي كل الرؤى والتي تعطي من خلال تجربتها الترجمة الصادقة لواقع الاختمار .

ان « جدران الصمت » وهي مرقاة الى نمط من العطاء جديد، ومعبر الى مطلات محمد العامر الرميح الرحيبة ، هو عقد الخمسينات الذي يصافح مطالع الثمانينات بجدتها كلها واهتماماتها كلها فحسبه منها ذلك فهي برهان على رسوخ كلمته وقدرتها على الحياة .

محمد عبد الله عنان

•

هوامش تراثية

تاليف هلال ناجي ـ ١٥٢ صفحة من القطع المتوسط ـ ساعدت وزارة الثقافة والاعلام العراقية على نشره ـ مطبعة العاني بغداد ١٩٧٣

كنا في الشطر الاول من هذا القرن نسعى الى العلامة الشيخ خليل الخالدي المقدسي ، ونطرح عليه ما تجمع لدينا من اسئلة ادبية وتاريخية كثيرة ، كنا نجهل الاجابة عنها ، فكان يتدفق في اجاباته المفصلة الدقيقة تدفق السيل ، مع ذكر المصادر والصفحات التي نقلتها ذاكرته العجيبة عنها . ثم نزح الشيخ خليل الى القاهرة ، وهناك أصبح أحمد لطفي السيد وطه حسين وحسين هيكل وعبد الوهاب عزام وأحمد أمين ، ومعظم اعضاء مجمع اللغة العربية بالقاهرة وسواهم يلتفون حوله ، ويسألونه عن امور أدبية وتاريخية كثيرة كانوايجهلونها فيجيبهم ،كما كان يجيب سائليه من جميع البلدان العربية عن كل شيء كأنه كان يغرف من بحر . حتى اذا قضى الرجل الاعجوبة نحبه في القاهرة عام ١٩٤١ ، قلنا مضى معري القرن العشرين ، ولن يجود علينا الزمان بمثله ،وما كنا نعلم ان العراق الشقيق سيطلع من سمائه في الشطر الثاني من هذا القرن رجل اعجوبة اخر ، هل علينا هلاله فبهر بصائرنا ، وخدم ضادنا، والفواحدا وثلاثين كتابا اغنت المكتبة العربية ،وصحح باحدثها«هوامش تراثية » اوهام الاساتيذ ،، وجعلهم يضمون الى كتبهم مواد كثيرة ،فاتهم الاطلاع عليها . بحيث يخيل الي ان مخترع العقل الالكتروني قد استنجد بعقل الصديق الاديب الفذ هلال ناجي ،، فنقل عنه بعض ما في تلافيفه وتعاريجه من اعاجيب ، يقف العقل ازاءها حائرا ، اذ نجده قد نبش مئات الكتب ، وقلب عشرات الوف الصفحات ، وبحث في زواياها ليطلعنا على ما فات المؤلفين من مئات الابيات ، لا عشراتها .

ذكر المؤلف ان هناك نهضة ميمونة في العراق اليوم ، تساعد على نشر الشعر العربي القديم ، وقد اورد اسم سبعين ديوانا ، وقال ان هذا قليل من كثير . وليته ذكر عدد تلك الدواوين الباقية ،، دون ان يذكر اسماءها، لان الرقم يعطي قيمة علمية تاريخية ، لا تسمو اليها الحروف في هذا المجال ،والمؤلف هو الذي عود قراءه الكثر الاهتمام بالارقام .

وفي الكتاب ـ عدا ما صححه من اوهام الاساتيذ ـ ملاحظات نفيسة مبعثرة هنا وهناك اذكر منها الاتية :

دعوته الملحة الطلاب لطبع أطروحاتهم قبل تسلم شهاداتهمالجامعية العليا ، لنضيف بذلك الى مكتبتنا العربية كتبا بذل في تاليفها جهد عظيم يجب ان توزع فائدته على جميعالقراء ، بدلا من أن تموت على رفوف مكتبات المؤلفين

وطلبه ان يصف المؤلف المخطوط وصفا ببليوغرافيا ببيان قياسه، وعدد أسطره واوراقه ، وتاريخ نسخه ، ونوع خطه ،، وما الى ذلك مما يساعد المحققين فيما بعد على تعرف صفحات كل نسخة مخطوطة.

والحاحه على ضرورة ذكر المراجع التي ناخذ منها تراجم الاعلام .

ودعوته الحقة الى اهمال ذكر التعليقات الموجودة على هوامش المخطوطات ، لانها ليست من اصل الكتاب .

واصراره على ذكر الروايات المختلفة دائما وهو شيء لاثباته قيمة كبرى في النهج العلمي للتحقيق .

وتساؤله : هل القصائد التي تكتب في ذكرى الشاعر يصح اعتبارها من مراجع دراسته ؟

وتنبيهه الدكتور صلاح الدين المنجد الى الهفوات التي ارتكبها في تحقيقه كتاب « أدب الغرباء » لابي الفرج الاصفهاني ، من حيثجعله بعض النثر شعرا ، وبعض الشعر نثرا ، وهذا نجده كثيرا في مؤلفاتنا الحديثة

ومن حسنات المؤلف اطلاعه الواسع جدا ، الذي جعله يذكر كثيرا من اسماء الكتب المخطوطة الحديثة ، التي لما يدفعها مؤلفوها الى المطبعة بعد

ومن حسناته ايضا انه باستدراكه عشرات الابيات التي نظمها الشعراء ، كديك الجن الحمصي وكشاجم وسواهما ، وذكره بعض الاخبار التي لا بد منها لفهم تاريخ حياة الشاعر ، قد فتح آفاقاواسعة امام النقاد ومؤرخي الادب .

اما لغة الكتاب فمن النوع الممتاز ، ولا ادري على اي المصادر اعتمد حين قال : « القصائد القيمة » و «المجاميع الشعرية القيمة »، لان الصواب ان نقول « النفيسة » لان معنى «القيم» هو ذو القيمة كما يقول مجمع القاهرة ، وهذا لا يعني أنه نفيس ، لان اتفه الاشياء لا بد أن تكون ذات قيمة قليلة ويقول ايضا : المصنفات العديدة بدلا من الكثيرة ، لان « العديدة » تعني المعدودة ، والشيء المعدود قلما كان كثيرا .

وهنالك أخطاء مطبعية غير قليلة كان في الوسع تجنبها ، والياء في آخر الكلمة منقوطة في مطبعة العاني الذي طبع الكتاب ،، ولكنها جاءت الفا مقصورة مئات المرات ، وهذا لا يجوز في كتاب يحققه اديب كبير، ودقيق جدا كالاستاذ هلال ناجي . وقد أحصيت في الصفحة ١٨ وحدها ٢٥ ياء في آخر الكلمة ، حرمها المنضد نقطتيها .

وكان على المؤلف ان يضبط الاعلام ـ على الاقل ـ بالشكل التام، ان تعذر عليه ضبط الكتاب كله بالشكل الضروري .

وعندما اطلعت على ما استدركه الاستاذ هلال على شعر الغزال يحيي بن الحكم الاندلسي ، الذي قال عنه انه اكبر شعراء الاندلس في عصره (في الشطر الاول من القرن الثالث الهجري) ، وجدت انه شاعر من الطبقة الثالثة او الرابعة ، كما تدل الابيات الكثيرة التي استدركها الاستاذ ناجي على الدكتور حكمت الاوسي في كتابه « فصول في الادب الاندلسي في القرنين الثاني والثالث للهجرة »:

ومما استدركه المؤلف الفذ على الاستاذ عبد الله الجبوري في جمع اشعار ابي الشيص قوله : ومعروضة تظن الهجر فرضا .والصواب:

ومعرضة وذكر ان هذا البيت موجود في الصفحة ١٨٢ من المستطرف للابشيهي . ووجدته في الجزء الثاني من المستطرف صفحة ٢٤٩ ولدي الطبعة التي اشرف عليها محمود علي صبيح ، صاحب المطبعة المحمودية التجارية بمصر ومكتبتها . وهي مطبوعة سنة ١٣٤٨ هـ.

ولست ادري لماذا قال المؤلف الكبير : فوجد الابيات تسعين نصفا بدلا من تسعين شطرا .

وفي الختام لا بد لي من تكرار اعجابي بهذا السفر النفيس « هوامش تراثية » ، وبمؤلفه العملاق الذي جاء رحمة للتحقيق الادبي الدقيق ، والتنقيب العلمي العميق .

محمد العدناني

صفحات مجهولة من حياة زكي مبارك

تاليف محمد محمود رضوان ـ ١٧٦ صفحة ـ منشورات دار الهلال بالقاهرة

صدر في القاهرة ، في شهر اكتوبر الماضي ، كتاب الهلال ، الموسوم بـ « صفحات مجهولة من حياة زكي مبارك » لمؤلفه الاديب الصحفي، الاستاذ محمد محمود رضوان !

وكنت انتظر منذ آمد بعيد ، صدور هذا الكتاب ، لان علاقة ادبية متينة ، قامت بيني وبين مؤلفه الفاضل ، سببها الدكتور زكي مبارك رحمه الله . ففي احدى الرسائل التي بعث بها الي الاستاذ رضوان ، في مطلع سنة ١٩٦٩ ، اعلمني بمقدار الجهد الذي بذله في سبيل اعداد كتاب عن الدكتور زكي مبارك .

وكان الذي حمله على الاتصال بي ، ذلك المقال الذي نشرته لي مجلة الاقلام البغدادية ، في عددها الصادر في شهر كانون الثاني من سنة ١٩٦٥ ، بعنوان « زكي مبارك في العراق »، ومن ثم كتابي الذي اصدرته في بيروت سنة ١٩٦٩، بالعنوان نفسه . وكان هدفه من هذا الاتصال الادبي ، حصوله على ما لدي من معلومات تفيده في دراسته عن الدكتور زكي رحمه الله !

ثم مرت الاعوام ، وانا انتظر صدور كتابه ، حتى كان شهر تشرين الاول من هذا العام ، اذ تلقيت بيد الشكر من الاستاذ رضوان ، مواوده البكر ، ولذلك يطيب لي ، ان ابعث له بتهاني على هذا الجهد ، مؤكدا له ، ان السنين التي قضاها في البحث والتنقيب عن مادة كتابه، لم تضع سدى ، انما اثمرت هذه الدراسة المتعة !

وقد بدا لي ، وانا اقرا فصول هذا الكتاب الماتع ، ان الاستاذ رضوان ، قد ضغط مادةكتابه ضغطا شديدا ، ولعل السبب في ذلك يرجع الى الرغبة في جعل حجمه منسجما مع حجم « كتاب الهلال »، فانه لو لم يتم بهذاالضغط ، لكنا قرانا صفحات اكثر عن حياة زكي مبارك في شتى الاقطار والامصار ولعرفنا الشيء الكثير عن مواقفه الرائعة في الدفاع عن العروبة والاسلام !

وعند قراءتي للفصل الاول من الكتاب ، الباحث عن حياتهوثقافته، وجدت ان المؤلف الفاضل اشار في الصفحة ٤٧ الى عودته من باريس، بعد حصوله على درجة الدكتوراه بتقدير (شرف جدا) من السربون عن رسالته « النثر الفني في القرن الرابع الهجري »، اشار الى هذه العودة اشارة عابرة ، في حين كنت اود لو انه اعطى القارىء صورة خاطفة عن حفلات التكريم التي اقيمت له في كل من القاهرة والاسكندرية واثبت شيئا مما قاله فيه الشاعران الكبيران خليل مطران وابراهيم ناجي ، كما فعلت في كتابي « زكي مبارك في العراق »، انه لو اثبت الابيات التي جاءت في قصيدة الدكتور ناجي،في وصف المراحل الدراسية التي مر بها هذا الفلاح السنتريسي ، لاضاف شيئا طريفا حقا ، فها هو ذا يصفه قائلا :

عجبي من مجاور ضاق بالا … زهر واحيرة النفوس الكبار
ثم امسى (مطربشا) واكتسى البد … لة ما بين ليلة ونهار
ثم ضاقت بهمه مصر فاشـ … ـتاق لغير الاوطان في الامصار
ضم اشياءه اليه واضحى … في سفين تجوب عرض البحار
ثم امسى مبرنطا) يقصد ال … سين ويغزو مدينة الانوار
والذي يبعث السرور ويدعو … كل نفس المزهو والاكبار
رجل ما ازدهته فتنة با … ريس وما في باريس من اسرار
ظل في ذلك الحمى مصريا … عربي الحياة والافكار

ومع كل هذا ، فقد جاء الكتاب حافلا بصفحات مجهولة عن الكثيرين من حياة زكي مبارك ، ما كان يتسنى لنا الاطلاع عليها، لولا الهمة العالية، التي بذلها المؤلف من اجل انصاف هذا «العلم الشامخ المغبون في ادبنا المعاصر » . وحين حدثنا عن الجهود التي بذلها في اعداد فصول كتابه، قال «وفي هذا السبيل قرات عشرات الدوريات من الصحف والمجلات ثم التقيت ببعض معارفه واصدقائه ، ومنهم المرحوم احمد حسن الزيات ـ صاحب الرسالة ـ والاستاذ صالح جودت ، والدبلوماسي الشاعر الاستاذ احمد عبد المجيد والاستاذ انور الجندي ثم كان هذا الكتاب الذي كشفت فيه لاول مرة ، بعض الجوانب المجهولة في حياته ، التي ثار حولها خلاف كبير بشان اثر المراة في حياته ، وسر ماساته، في سنواته العشر الاخيرة وسر معاركه مع طه حسين ، وسر كتابه الغريب، بين آدم وحواء ! »

لقد اتاح لنا المؤلف حقا ، الاطلاع على العديد من الصفحات المجهولة ، واوقفنا على بعض الحقائق ، وفي مقدمتها ، قصة حبه ، وهيامه ، بليلى المريضة في الزمالك !

ولعل القارىء يود ان يعرف شيئا عن (ليلى) هذه ، ولذلك ننقل له ما قاله عنها في مقدمة الكتاب ، صديقنا الشاعر الكبير الاستاذ صالح جودت اذ قال « .. وكانت ليلاه نجمة من نجوم المسرح ، شده اليها اكثر من عامل ، واولها ، انها بنت بلدته (سنتريس)وانها مثقفة وذكية، وقارئة للشعر ، وفيها جاذبية خاصة ، لا تتوفر الكثير من النساء، وان لم ينم مظهرها عن ذلك ، ولهذا افتتن بها اكثر من اسم من الاسماء الكبيرة في دنيا القلم يومئذ ، فتزوجت اول ما تزوجت، علما من اعلام الصحافة، واصحاب المدارس الكبيرة في مجالها، ثم احبها شاعر من اكبر شعرائنا المعاصرين ، هو المرحوم الدكتور ابراهيم ناجي ، احبها حبا كبيرا ، استلهم منه اروع اعماله ، قصيدة « الاطلال » !

واذا كان الامر كذلك ، فمن هي هذه النجمة يا ترى ؟! الواقع ان الاستاذ رضوان لم يشا ان يضيف الى ما قاله الاستاذ جودت » الا الحرف الاول من حروف اسمهاوهو حرف (ز) !! واذا كان الادبواللياقة تقضي بعدم فضح اسرار الناس ، فاننا لنرجو ان تتسع الايام لهذه الفنانة (ان كانت على قيد الحياة) فتنشر لنا شيئا من ذكرياتها مع هذين الاديبين الكبيرين ، كما اتسعت للفنانة الكبيرة التي احبها المرحوم العقاد وعاشرته زمنا طويلا ، وهي في سبيل اصدار كتاب تسجل فيه ذكرياتها عن تلك الايام ، كما ذكر ذلك الاستاذ عامر العقاد ، في مقال نشرته له ، مجلة « الاسبوع العربي» البيروتية قبل بضعة اسابيع!

ومن المفارقات العجيبة ، التي تحدث عنها المؤلف الفاضل ، ذلك التناقض العجيب في نظرة الدكتور زكي مبارك الى المراة » ولكنه وهو يشير الى ذلك ، يجد له عذرا ومبررا ، اذ يقول « .. وفي ابان محنته القاسية ١٩٤٤ ـ ١٩٥٢ هاجم المراة بعنف وقسوة ، فازدادت الحملة عليه ضراوة ، وظن البعض انه يتناقض في اقواله ويتذبذب في مواقفه . فكيف يصرح بهذا الكلام ، من ملا الدنيا غراما وتشبيبا...؟ هاجموه لتلك الخواطر الحزينة اليائسة ، وغاب عن بالهم ظروف محنته ومأساته !!»

ان القارىء لهذا الدفاع ، كان بوده ، لو ان المؤلف الفاضل

ذكر شيئا مما قاله الدكتور زكي ، في المراة ابان محنته !!

والذي يبدو لي ، ان المؤلف الفاضل ، قد فاته ما نشره الدكتور نفسه في عدد جريدة البلاغ الاسبوعي ، الصادر يوم ٢٦-٢-١٩٤٧ ، بعنوان « وفاء العراق » لانه لو وقف على ذلك ، لاثبته في كتابه ، فما الذي قال في دفاعه عما كتب على لسانه في الهجوم على المراة في مجلة « مؤامرات الجيب » ؟! لقد قال ما نصه :

« اصل القضية ، ان مجلة مسامرات الجيب، نشرت مقالات باسمي في شتم (النسوان) وهي مقالات ملات الدنيا ضجيجا وعجيجا، وذهبت من هنا الى هناك !!

انا لم اكتب حرفا من تلك المقالات ، وانما اوحيت بها الى احد تلاميذي ، ان يقول ما اريد ان اقول ، فطاب له ما يريد ان يقول ، وكان من السهل ان انشر تكذيبا لما نشره تلميذي باسمي ، ولكني كرهت ، ان اكذب تلميذا من تلاميذي الاوفياء !!»

وبعد : فان كتاب « صفحات مجهولة من حياة زكي مبارك » من كتب السير والتراجم التي اتبع المؤلف في كتابة فصوله (المنهج النفسي) فجاءت دراسته ، دراسة منصفة تتعادل فيها كما يقول الاستاذ جودت « روح الوفاء وروح البحث وتجمعان كطاقة من الزهور يضعها الاستاذ محمد محمود رضوان ، على قبر زكي مبارك ».

واخيرا : اكرر تهنئتي للاستاذ رضوان ، وارجو له المزيد من الموفقية في دراساته وابحاثه ليتحفنا في قادم الايام بكل نافع ومفيد من نشاطه في دنيا الفكر والادب .

بغداد — عبد الرزاق الهلالي

•

قواف تبتغي الاجر

مجموعة شعرية لمنذر الشعار ـ صفحة (؟) ـ مطبعة (؟)

نود ان نقول اولا : ان هذه السطور المدونة هنا ... سطور متواضعة عن عمل كبير ان تتناول فيها قضية الشكل الفني وحدها التي الح عليها الشاعر منذ اول كلمة في المجموعة .. كما انه لن تتناول المضمون وحده لان الفصل بين الشكل الفني والمضمون فصل روح العمل الفني عن جسده ، او بالاختصار قتله وتحطيمه . لكننا سنحاول ان نتعرض في هذه السطور للنقاط البارزة في المجموعة التي تشد التامل لدى اول نظرة فقد صدرت مجموعة « قواف تبتغي الاجر » للشاعر منذر شعار في وقت صرنا فيه نفسد وضاءة الكلمة .. وسحر الايقاع العربي..

وقد استخدم الشاعر ـ منذ البداية ـ شكلا فنيا ارتضاه لنفسه والتزم به . هذا الشكل الفني في الشعر ، مشدود الى التراث، مرتبط بالاصالة يستطيع ان يعطي ابعادا محسوسة لهموم العصر، وقضايا العصر ..

وقد جاء الشعر فيه ، شعرا يحمل الروح العربية والرسالة القومية لامتنا وان كان يجري على نمط تقليدي بل اننا لنشعر بانه لا يمكن ان يكون هناك بديل صادق وضروري للتوصل الى هدف الشاعر الا هذا الشكل الفني ولا يعيبه هذا ... ولكنه يؤكد اصالة الفن والفكر الملتزم..

ونحن اليوم لا يمكننا ان نطالبه بشكل فني آخر .. لانه اولا : لم ينحرف الى الاغراق والغموض الذي نراه عند اولئك الشعراء المشبوهين ولانه ثانيا قد خط طريقة له.. فكان النفحة الاصلية الثابتة وسط انغام نشاز كبيرة .

ان دخول « منذر شعار » هذا الشكل الفني في عالم الشعر هو دخول مزود برؤية اصيلة تجسد التعبير الصادق عن تعلقنا بالتراث والتزامنا به :

فلحني لحن آباء كرام — فليس ينالني الدخل الغبي

اذا ما اجمعت شفتاي شعرا — تكنفني امرؤ القيس النقي

وسلسل نشوتيه ابو نواس — بالفاظي وجاء البحتري

ولكي يكون الشعر عربيا لا بد ان يعبر عن روح الامة العربية ويحمل في ثناياها رسالتها الحضارية وطموحها الكبير والذي منه يكون طموح الشاعر وهواه :

المجد اعذب وردا من لمى شفة — ومن هوى الجيد اشهى لي هوى الحسب

يهفو الفؤاد ولكني اشاغله — يدفع خيل المنى في جبهة الشهب

فما لحاق ذوات الخال من خلقي — ولا مقال هجين الشعر من ادبي

ارايت طموحا عربيا اشرف من هذا الطموح . بل ان الشاعر ليدفع ايضا عن امتنا العربية وعن الرائع الاصيل كل الزاعم التجنيسة التي حاولت ان تشكك في اصالتها واقتدارها .

ان التمسك بالتراث لم يكن في يوم من الايام مهانة ، كما ان الاصالة لم تكن ايضا معرة لذلك فقد اتى منذر شعار ليعطي في مجموعته هذه الاجابة على الذين اهملوا الاصالة او قدموا من دونها عليها .. من خلال اهتمامه بقضايانا الكبرى .. يريد ان يعطي الاجابة للذين يحسبون بانهم منفيون خارج حضارتهم العربية .. مطرودون من روائع لغتهم ...

وهو يعرف ان عودتهم الى الصحوة ... الى الطريق، لن تكون الا بعودة الامور الى اصولها ـ كما يقولون ـ بعودة وضاءة الكلمة العربية التي سلخناها عن ماضيها، فاضعنا سحرها ، واضعنا من بعدها براءة التجربة .

انا اتصور منذرا الشعار دائما ، والقلم في يده وهو يبحث عن الكلمة التي تنفذ الى غايتها كالرمح كانه يريد ان يدعو من خلالها ـ الى ادب جديد لبه اليقين والاصالة ، بعيد عن الميول الدنيا ، بعيد عن الياس ... قريب الى الامل ... بشير بالخير كله . انا اتخيله وقلمه في يده ... قلم شريف يتحرك .. ليغوص في ارض التراث وليستخلص من ترابه ذلك التبر الرصين .. والفن . الفن كله ـ لم يكن في جوهره دائما الا انتقاء وبحثا واختيارا . نعم ان هذا الشكل الفني الجاد الذي ارتضاه الشاعر لاعماله هو الذي ميزه عن الشعراء الاخرين في مدينة حماه ... فاعطاه هويته الاصيلة ..

قد يقول لنا القائلون : ولكن هذا الشكل لا يساير المسرى الحضاري للخطة والموقف .. لا يساير ركب الحياة اليومية ... لانه شكل كلاسي قديم فماذا نرد عليهم .. انا نرد ـ ونحن اسفون ـ بان مسايرة الركب التي يقولون عنها لا تكون بالانقطاع المتعمدة ، جريمة في حق المستقبل، قبل ان تكون جريمة في حق الحاضر . ونحن حتى ـ يومنا هذا ـ ما زلنا نعجب من ذلك الرشح الشعري الذي يصل الينا وسنظل نعجب ما في ذلك ريب ـ ما دمنا نقتل الاباء ونخنق الاصول ..

ان الشعر الاخر الذي نقراه اليوم ، يمثل الشكل المسطح الذي يتحول الى اداة تدمر الفكرة بدلا من ان تحتضنها .. ولامر ما يركب هؤلاء هذه الموجة .. على ان الخلود دائما للاصالة وحدها .. وللعمل الادبي الذي يثري الفكر والفن معا ، نحن في زمن حار فيه الدليل... وحارت الركبان .. ولكن ضوء الحقيقة ، ووضاءة الكلمة لن تخفى على كل من له عين ترى واذن تسمع ...

ونختار من ابيات الشاعر قوله :

باي نجيع تكتب الحق يا قلم — وعن اي جرح تاخذ الشجو يا نغم

قصيدي وترتيلي بكاء وحسرة — ايحلو شراب في اناء من السقم

يفار علينا ناعمين وجهدنا — بكاء وترداد لفخر قد انصرم

بلادي بلاد الفاتحين فمالها — تقسمها رهط الولائد والخدم

محلتنا بين الانام على الذرا — كما الراس مرفوع المحل عن القدم

وقوله ايضا :

ازرى بي الشوق اني لست ابديه — وضرني مذهبي ان لست اخفيه

وما اراني الا في مجلجلة — من الرغاب وغيري في اغانيه

حماه ـ سورية — نزار نجار